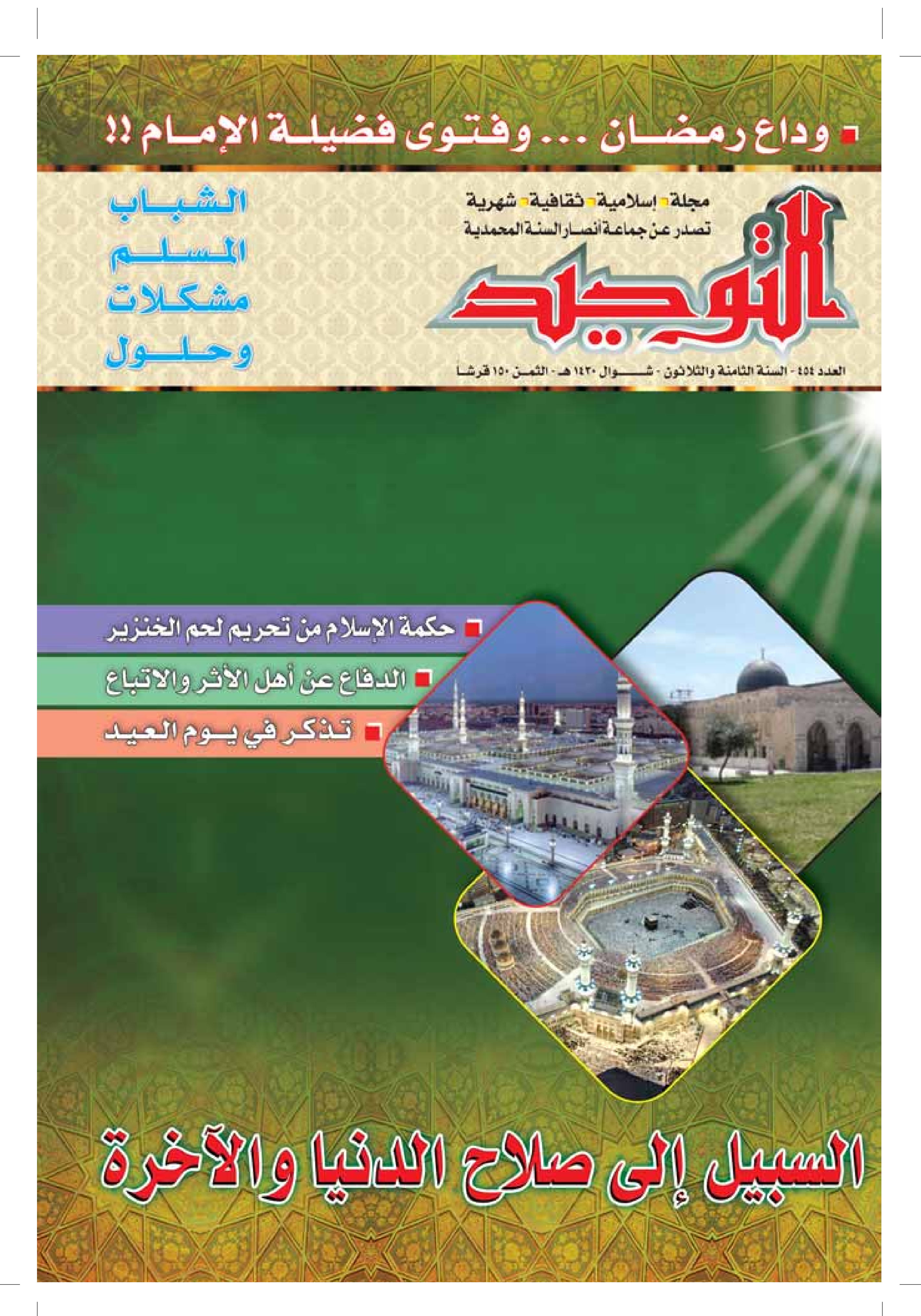


وداع رمضان ... وفتوى فضيلة الإمام !!
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٥٤ - السنة الثامنة والثلاثون - شوال ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً
الشباب المسلم مشكلات وحلول
حكمة الإسلام من تحريم لحم الخنزير
الدفاع عن أهل الأثر والاتباع
تذكر في يوم العيد
السبيل إلى صلاح الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

"السلام عليكم"

في وداع رمضان

من خطبة المأمون يوم الفطر: أيها الناس، ألا إن يومكم هذا يوم عيد وسنة، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان، وافتتح به حج بيته الحرام، فشوال أول شهور الحج، وجعله تاجًا لمفروض صيامكم ومتنفَّل قيامكم أحل الله لكم فيه الطعام وحرم عليكم فيه الصيام، فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم، فإنه يقال: لا كبيرة مع ندم واستغفار، ولا صغيرة مع تماد وإصرار. ثم قال: اتقوا الله عباد الله، وبادروا الأمر الذي استقر عليه يقينكم وهو الموت المكتوب عليكم، فإنه لا تستقال بعده عثرة، ولا تحظر قبله توبة، واعلموا أنه لا شيء قبل الموت إلا دونه، ولا شيء بعده إلا فوقه، ولا يعين على شدته وكربه، وعلى القبر وظلمته، وضيقه ووحشته، وهول مطلعه، وسؤال ملكيه ؛ إلا العمل الصالح الذي أمر الله به، فمن زلت عند الموت قدمه، فقد ظهرت ندامته، وفاتته استقالته، وطلب من الرجوع من جديد ما لا يُجاب إليه، وبذل من الفدية ما لا يُقبل منه.

فاتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم.

التحرير

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

السنة الثامنة والثلاثون
العدد ٤٥٤ شــوال ١٤٣٠ هـ

"في هذا العدد"

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١. في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢. في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٨٠ جنيهاً للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٢٣٠ دولارًا خارج مصر شاملة سعر الشحن



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلقد تناولت بعض الصحف الكلام عن أنصار السنة ورجالاتها واتهموهم بباطل من القول وزور، وهذا أمر لا يستغرب من أمثال هؤلاء، ولهذا كنت أعرض عن حماقاتهم وافتراءاتهم ممتثلاً قول الكريم الرحمن في أهل الإيمان: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ» [القصص: ٥٥]، غير أني رأيت أن أتعرض لهؤلاء عبر صفحات «مجلة التوحيد»؛ لأدرأ عن أهل السنة ما رموهم به من بهتان، وسأقدم بين يدي ذلك نصيحة لكل مسلم أتبعها بتبرئة أنصار السنة مما رماهم به هؤلاء.

فأقول وبالله التوفيق: ذم الله تعالى الكذب في كتابه، كما حذر منه النبي £ في سنته، وهو من صفات اليهود والكافرين وعلامة من علامات المنافقين، قال تعالى: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ» [النحل: ١٠٥].

وقال في وصف اليهود: «وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» [المائدة: ٤١]، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي £ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»(١).

وقد استدل هرقل عظيم الروم على صحة رسالة النبي £ بأمور منها: أنه لا يكذب، وذلك عندما سأل أبا سفيان قائلاً: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان: لا. فقال هرقل: لم يكن يذر الكذب على الناس ويكذب على الله(٢).

والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، كما صح بذلك الخبر عن الرسول £ ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»(٣).

فيا أهل العقول السليمة والفطر المستقيمة ؛ عليكم بالصدق واحذروا الكذب وكونوا مع من قال الله تعالى فيهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبة: ١١٩].

ثم أقول لإخواني ممن نسب إليهم شيء من البهتان: تحلوا بالصبر مع بيان الحق بعلم وعدل، وعلى أولي الألباب ألا يصدقوا

هذا البهتان، والواجب على الجميع التحري والتثبت في الأقوال وحسن الظن بإخوانهم.

ومن التهم الملفقة التي ذهب إليها هؤلاء: أن أنصار السنة يتآمرون على الحكام ويكفرونهم، وقد نسبوا ذلك إلى شيخنا العلامة الأصولي المحقق عبد الرزاق عفيفي رحمه الله، الرئيس الأسبق لأنصار السنة، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، سابقًا، والشيخ رحمه الله كان من أئمة وعلماء أهل السنة السالكين مسلك السلف الصالح، وليس لمن رماه بذلك حجة أو دليل، وكُتب الشيخ - وهي كثيرة موجودة بين أيدي الناس - ظاهرة لكل طالب علم، وليس فيها شيء من هذا البهتان، وأنصار السنة على مدى تاريخهم الطويل لا يطلقون على مسلم ألفاظ التكفير بما في ذلك الحكام والمسؤولين، وهم يدينون بمعتقد أهل السنة والجماعة، ويرون أن ولي الأمر عليهم طاعة، وفي أعناقهم له بيعة، ولا يخرجون عليهم، ولإقامة الدليل على ذلك سأذكر بعض مواقف علماء أنصار السنة ليعلم الناس من هم أقوم قليلاً وأهدى سبيلاً.

وبداية أشير هنا إلى البيان الصادر من المركز العام للجماعة عقب اغتيال رئيس الجمهورية السابق محمد أنور السادات - رحمه الله تعالى -، وقد جاء في البيان ما يلي: «مع إيماننا الكامل بقضاء الله وقدره، واستهداءً بقيم الإسلام الذي يكفل الأخوة، ويفرض الوحدة ويحقق الأمانة والأمن تستنكر جماعة أنصار السنة المحمدية أشد الاستنكار كل أشكال العنف، وتعلن أن ما ترتب على ذلك من اغتيال الرئيس محمد أنور السادات يمثل خروجًا على أحكام الدين، لأن الله سبحانه أوضح طريق الدعوة إليه وأسلوبها في قوله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ».

فالإسلام لا يعرف العنف في فرض الرأي، ولا يعرف النزول إلى لغة الرصاص، وإنما يدعو إلى الحوار بالحجة والبرهان المقنع والمواجهة الشريفة، فإذا لم ينته أطراف الخلاف إلى نتيجة فليس لأحد أن يعنف أو يحمل السلاح على الآخر، لقوله £ : «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»(٤).

وإذا ادلهمت الخطوب وزادت الفتن عصم الإسلام الأمة بضرورة التناصح لقوله £ : «الدين النصيحة». قالوا: لمن يا رسول الله ؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٥).

ولقوله £ : «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم»(٦).

وجماعة أنصار السنة المحمدية تنصح أن يهتدي الجميع - حكامًا ومحكومين - بهدي القرآن الكريم، وأن يسيروا على نهج رسول الله £ ، ولو أخذ الجميع بهذه النصيحة لوقف كل عند حده الذي بينه له الشرع الحنيف، وما كان هناك تجاوز لحدود الله، وقد قال الله تعالى: «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ»، كما أننا

من عقيدة الفرقة الناجية أنها تؤمن بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحج والجهاد، والجُمع والأعياد مع الأمراء والحكام، أبرارًا كانوا أم فجارًا، مع بذل النصيحة، والمحافظة على الجماعة

نناشد الجميع أن يسلكوا مسلك الاعتدال في جميع تصرفاتهم حفاظًا على وحدة الأمة، وجماعة أنصار السنة إذ تعلن هذا تتضرع إلى الله تعالى أن يجنبنا الفتن، وأن يوحد صفوفنا، وأن يسدد خطا الرئيس محمد حسني مبارك، ويوفقه إلى ما فيه خير البلاد والعباد»(٧).

كما ذكر فضيلة الشيخ صفوت الشوادفي – رحمه الله – منهج أنصار السنة في أصول الدين، وبيَّن أن عقيدتهم هي عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، ومما ذكره في ذلك:

«ونؤمن بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحج والجهاد، والجمع والأعياد مع الأمراء والحكام، أبرارًا كانوا أم فجارًا، ونحافظ على الجماعة، ونبذل النصيحة، ونسعى إلى إقامة مجتمع الجسد الواحد الذي أمرت به السنة، ندعو إلى الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ونعتقد أن جماع الدين: عقيدة صحيحة، وعبادة خالصة، وأخلاق فاضلة، ولا نجيز الخروج في الفتنة، ولا الخروج على الأمراء والحكام ما لم يصدر منهم كفر بواح، وهو الصريح الذي لا يقبل التأويل، وعندنا من الله فيه برهان كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة»(٨).

وكتابات الدكتور جمال المراكبي في مجلة التوحيد، وما كتبه الدكتور عبد العظيم بدوي عقب تفجيرات شرم الشيخ وإدانته لذلك من أوضح الأدلة على أن أنصار السنة لا تذهب إلى ما نسب إليها من تكفير وإرهاب، وفقد وفقني الله عز وجل وكتبت بحثًا في عام تسعين وتسعمائة وألف بينت فيه بالأدلة الصحيحة الصريحة معتقد أهل السنة في مرتكب الكبيرة، وتناولت فيه الرد على مذهب الخوارج ومن سلك سبيلهم في العصر الحاضر وسميته: «براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة»، ولما أصدر مجهولون بيانًا زجوا فيه بأسماء بعض علماء أنصار السنة، وكان البيان يحمل منهجًا وأفكارًا نخالفها ولا نعتقدها ؛ كتبت ثلاث مقالات متتابعة في مجلة التوحيد بعنوان: «جمع كلمة الأمة على الكتاب والسنة والنهي عن الخروج على الأئمة»، وقد دافعت فيها عن منهج أهل السنة وبينت موقف أنصار السنة ؛ لأنهم في عصرهم الحاضر كماضيهم السابق لم يخرجوا ولم ينحرفوا عن جادة السنة، وأنهم من أهل الاتباع، وليسوا بخارجين أو مبتدعين، وسلفنا في ذلك الصحابة والتابعون ومن سار على دربهم، وإمامنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – كان على منهج السلف القويم، وما سبق أن أشرت إليه من معتقد لأهل السنة تعلمناه منه ومن أمثاله من العلماء الربانيين، وقد بادر نجله الأستاذ محمود عبد الرزاق فنفى عن أبيه ما نسب إليه من تكفير، وكتب ذلك في بعض الجرائد، وأخرج منشورًا بهذا، (والابن من ألصق الناس بأبيه وأعرفهم به).

والشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – عاش فترة في المملكة العربية السعودية وتوفي هناك، وكانت له بين علمائهم مكانة ومنزلة، وقد درس على يديه أكابر علماء المسلمين اليوم، وتقلد هناك مناصب متعددة، ومآثره ومناقبه منثورة ومنشورة، وكان آخر منصب تقلده هو: نائب رئيس اللجنة الدائمة للإفتاء، وقد صدرت في عهده وبموافقته آلاف الفتاوى وليس فيها خروج أو تكفير.

وأكتفي هنا بذكر فتوى واحدة في ذلك.

ورد إلى دار الإفتاء السؤال التالي: من لم يحكم بما أنزل الله هل هو مسلم أم كافر كفرًا أكبر ولا تقبل منه أعماله؟

فأجابت اللجنة على هذه الفتوى بما يلي: قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» [المائدة: ٤٤]، «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [المائدة: ٤٥]، «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [المائدة: ٤٧].

لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزًا فهو كفر أكبر وظلم أكبر وفسق أكبر يخرج من الملة، أما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر وهو يعتقد تحريم ذلك فإنه آثم يعتبر كافرًا كفرًا أصغر، وظالمًا ظلمًا أصغر، وفاسقًا فسقًا أصغر لا يخرجه من الملة كما أوضح ذلك أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة وبالله التوفيق».

وهذه الفتوى الصادرة من دار الإفتاء تتفق تمامًا مع ما عليه أهل السنة وأصحاب المعتقد الصحيح، والشيخ رحمه الله مشارك في هذه الفتوى وموقع عليها، فهل يقال بعد هذا بأنه يكفر حكام المسلمين؟! أو ينسب ذلك إلى أنصار السنة السابقين والمعاصرين.

ومن الكلمات التي يتشدقون بها محاولين الطعن على أنصار السنة كلمة «الوهابية»، وقد زعموا أن أنصار السنة لها جذور وهابية، وذلك لينفروا الناس من دعوة الحق التي نقوم بها، وهم يعلمون تمامًا أننا ننتسب إلى

السنة فحسب معتقدًا وعملاً وسلوكًا، وأنا لا أعرف طائفة - حتى في المملكة العربية السعودية التي نشأ فيها ابن عبد الوهاب تعرف «بالوهابية»- وأهل السنة هناك يعتبرونه أحد دعاة الإسلام، ولا يتجاوزون فيه هذا المقدار، ويرون أن القدوة والمتبع هو النبي المختار £ ، ومن الحق والإنصاف أن أقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر أحدًا من المسلمين، كما كان يعذر الجاهلين، ولم يخرج عن أقوال الأئمة المتبوعين، وهذا بعض كلامه في ذلك:

قال رحمه الله في رسالة وجهها إلى عبد الرحمن بن عبد الله: «وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، ولكني بينت للناس إخلاص الدين ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وأيضًا ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه لكونه مستحسنًا عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمر به من التوحيد ونهى عنه من الشرك، ولَبَّسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس ونسبوا إليه أنواع المفتريات، فكبرت الفتنة...

ومنها: ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأني أزعم أن أنكحتهم، غير صحيحة، فيا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟ وهل يقول هذا مسلم؟ إني أبرأ إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا عن مختل العقل فاقد الإدراك، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة»(١٠).

أما عن موقفنا من الصوفية والطرقية، فهو معلوم للقاصي والداني، فنحن كما ذكرنا مرارًا وأكدنا نتبع ولا نبتدع، ونتصدى للانحرافات العقدية والبدع المحدثة، ونحن أمة واحدة، سمانا الله المسلمين، وأنزل علينا كتابه، وبعث إلينا أفضل رسله صلوات الله وسلامه عليه، وقد مَنَّ الله علينا وشرح صدورنا للحق الذي جاء من عنده، فقمنا بدعوة الأمة أفرادًا وجماعات إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله £ ، وواجهنا المخالفين ودعوناهم إلى الرجوع إلى ما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأما ما عليه الصوفية من قبل وإلى الآن من تقديس للأشخاص، وإقامة للموالد بما فيها من مخالفات شرعية ومنكرات، ودعوة إلى دعاء غير الله من الأحياء والأموات، واستحسان بناء المساجد على القبور والطواف بها ودعاء أهلها من دون الله، كل ذلك يتصادم مع مبادئ الإسلام وعقيدته السمحة التي أوجبت على العباد إفراد الله بالتوحيد، ومن ذلك الذبح والنذر والدعاء، والتوكل والخشية والإنابة وغير ذلك من ألوان العبادات، وأعتقد أن هذه الأمور لا يخالفنا فيها رجل عرف قدر ربه ومولاه وما يجب له جل في علاه.

وأنصار السنة بدعوتها إلى هذا المنهج قد قلصت كثيرًا من هذه الانحرافات، وأود أن أسجل هنا أنه لم يحدث أن أثنى أحد من أنصار السنة على الطرق الصوفية المبتدعة، أو مدح أحدًا من مشايخها، وقد شاركت أنا شخصيًا في جمع بعض أقوال أئمتنا من علماء الأزهر الشريف في الأضرحة والقبور والموالد والنذور، وقد طبعت - بحمد الله - هذه الرسالة ؛ لنبين للناس عامة أن هذا المنهج السوي هو منهج الحق الذي جاء من عندالله سبحانه وشرح صدورهم للتمسك به والدعوة إليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الهوامش:

١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ٢٤ ج١ / ٨٩، ومسلم كتاب الإيمان باب ٢٥ ج١ / ٧٨.

٢- البخاري، كتاب بدء الوحي باب ٦ ج١ / ٣٢.

٣- البخاري كتاب الأدب باب ٦٩ ج١٠ / ٥٠٧.

٤- أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ٤٣ ج١ / ٢١٧، ومسلم كتاب الإيمان باب ٢٩ ج١ / ٨١، ٨٢.

٥- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ٤٢ ج١ / ١٣٧، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٢٣ ج١ / ٧٤.

٦- أخرجه أحمد في مسنده ج٢ / ٣٢٧.

٧- مجلة التوحيد، العدد الأول محرم ١٤٠٢هـ، السنة العاشرة.

٨- مجلة التوحيد، العدد السادس، جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، السنة السادسة والعشرون.

٩- فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم ٥٧٤١.

١٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ج١ / ٥٤، ٥٥.



وداع رمضان.. وفتوى فضيلة الإمام!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتكفر السيئات، وتُقالُ بمنته العثرات، وتضاعف الحسنات وترفع برحمته الدرجات، وبعد:

ما أسرع ما تنقضى الليالى والأيام، وما أعجل ما تنصرم الشهور والأعوام، وهذه سُنَّة الله في الحياة، أيام تمرّ وأعوام تكرّ.. فـ «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [القصص: ٨٨].

استقبال وتوديع رمضان فرصة للتأمل!!

إن في استقبال رمضان وتوديعه فرص للتأمل ووقفات للاعتبار، فعسى الأمة أن تدرك وضعها وتسعى في الإصلاح، فتقوي ما ضعف، وتعالج ما اختل، فشهر رمضان فرصة رائعة لو صادفت اعتبارًا ولاقت استغلالاً، مع صدق في النوايا والمقاصد، وصواب في السلوك والمناهج.

ما أحوج الأمة في أيام محنها وأزمان ضعفها، إلى وقفات عندما تمر بها مناسبة كرمضان لتستلهم العبر والعظات لتجدد العزم على المجاهدة الحقة للشيطان، وتبدأ المسيرة الصحيحة للسير على الصراط المستقيم لتصحح ما أعوج من سلوكها، فرمضان مدرسة للأمة الإسلامية، يجب ألاَّ تخرج منها إلا بإصلاح للأوضاع، ومراجعة لمواطن الخلل في جميع أمورها دينيًا ودنيويًا، فحري بالأمة أن لا يمر بها هذا الشهر دون استلهام لحكمه، والإفادة من مطعياته والنهل من ثمراته وخيراته، والاستفادة من فضائله النيرة، وآثاره الخيرة، ليتمثل الإسلام الحق في حياتها واقعًا ملموسًا، وعملاً مشاهدًا محسوسًا.

يمضي رمضان وهو يذكرنا بعظيم جود المصطفى £ بكل أنواع الخيرات، وبشتى أوجه القربات، فقد كان رسول الله £ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فهل تقتدي الأمة في حياتها من منطلق صدقٍ من سيرته £ في جميع لحظاتها وشئونها!! فسيرته عليه الصلاة والسلام هي الشمس الساطعة والمشعل الوضَّاء والنور المتألق الذي يبدد ظلمات الانحرافات كلها، والاضطرابات جميعها، فحاجة الأمة إلى معرفة السيرة العطرة أشدُّ ما تكون في هذا العصر الذي تقاذفت فيه أمواج المحن، وتشابكت فيه حلقات الفتن، وغلبت فيه الأهواء، وواجهت فيه الأمة ألوانًا من التحدي السافر، والتصدي الماكر، والتآمر الرهيب، فحينئذ لا بد أن يعيش حُب النبي £ في قلوبنا، وأن نتبعه ببصائرنا وأعمالنا وتوجهاتنا، وأن ننزع الغل والحقد والحسد والبغضاء من قلوبنا، ونتذكر أننا سنلقى ربنا إما بوجه قبيح يفيح من أثر ما ارتكبنا وفعلنا تعلوه آثار الحقد والمكر

والنفاقُ من المدعين، أو بقلب نابض بالإيمان وعامر بالإحسان، ووجه وضاء، عافانا الله من النفاق والمنافقين!!

مرور الأيام يُذكِّر بقرب الرحيل

نُودع رمضان وقد مضت ليالٍ غرٌّ بفضائلها ونفحات ربها، وأوشك باقيها على الرحيل، وكأنها ضربُ خيال، لقد قطعت بنا مرحلة من حياتنا لن تعود، هذا هو شهركم، وهذه هي نهايته، كم من مستقبل له لم يستكمله، وكم من مؤمل أن يعود إليه لن يدركه، فاغتنم ما بقي من الشهر بمضاعفة الطاعات، فأيام رمضان تسارع مؤذنةً بالانصراف والرحيل، وما الحياة إلاَّ أنفاسٌ معدودة، وآجال محدودة، وإن عُمرًا يقاس بالأنفاس لسريعُ الانصرام.

نُودع رمضان ويذكرنا وداعه بقرب الرحيل، فاحذر الاغترار بالسلامة والإمهال، فالأيام تطوى، والأعمار تفنى، فاستبق الزمن وغالب الهوى، واجعل لك في بقية الليالي مدّخرًا فإنها أنفسُ الذخر، وابك على خطيئتك واندم على تفريطك، واغتنم آخر ساعاته بالدعاء، ففي رمضان كنوزًا غالية وَسَل الكريم فخزائنه ملأى ويداهُ سحَّاء الليل والنهار، واستنزل بركة المال بالصدقة، وحصن مالك بالزكاة، وكن للقرآن تاليًا، وودع شهرك بكثرة الإنابة والاستغفار، وقيام لله مخلص في دُجى الأسحار، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله في بقية شهرك أحدٌ فافعل، فلحظات رمضان الأخيرة نفيسة، ولعلك لا تُدرك غيرهُ، وافتح صفحة مشرقة مع مولاك، واسدل الستار على ماضٍ نسيتهُ وأحصاه الله عليك، وعاهد نفسك على دوام المحافظة على الصلوات الخمس في بيوت الله وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، وطهر مالك عن المحرمات والشبهات، واحفظ لسانك عن الكذب والغيبة وطهر القلب من الحسد والبغضاء، وغضَّ البصر عن المحرمات، واستدرك هفوات الفوات، فالرحيل من الدنيا قد دنا، والتحول منها قد أزف، والرشيد من وقف مع نفسه وقفة حساب وغياب يصحح مسيرتها ويتدارك زلتها.

يقول ابن حبان رحمه الله: «أفضل ذوي العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة، والسعيد من استودع صالحًا من عمله، والشقيّ من شهدت عليه جوارحه بقبيح زلله».

علامات القبول والخسران

نودع رمضان ونضع أمام أعيننا أن للقبول والربح في هذا الشهر علامات، وللخسارة والردّ إمارات، وإن من علامات قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وأتبعوا السيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها، قال جل وعلا: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ» [هود: ١١٤].

ويقول النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». رواه الترمذي.

ومن عزم على العود إلى التفريط والتقصير بعد رمضان فالله يرضى عمن أطاعه في أي شهر كان، ويغضب على من عصاه في كل وقتٍ وآن، ومدار السعادة في طول العمر وحُسنُ العمل، يقول المصطفى ﷺ: «خير الناس من طال عمرهُ وحَسُنَ عملُه». ومداومة المسلم على الطاعة من غير قصر على زمن معين أو شهر مخصوص أو مكان فاضل من أعظم البراهين



ما أحوج الأمة في أيام محنها وأزمان ضعفها إلى وقفات تستلهم منها العبر والعظات لتجدد العزم على المجاهدة الحقة للشيطان، فرمضان مدرسة للأمة الإسلامية ينبغي ألا تخرج منها إلا بإصلاح للأوضاع ومراجعة لمواطن الخلل في جميع أمورها



على القبول وحُسْن الاستقامة.

بالزكاة تأتلف القلوب

ونحن نودع شهر الجود والكرم لا بد أن نتذكر جيدًا أن من مسالك الإحسان في ختام شهركم إخراج زكاة الفطر ففيها أُلْفَةُ القلوب، وعطف المسلم على أخيه الفقير، فرضها رسول الله ﷺ طُهْرَةً للصائم وطُعْمَةً للمساكين، ومقدارها صاع من طعام من غالب قوت البلد، ووقت إخراجها الفاضل قبل صلاة العيد، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين، فأخرجوها طيبة بها نفوسكم، وأكثروا من التكبير ليلة العيد إلى صلاة العيد تعظيمًا لله وشكرًا على التمام، قال عز وجل: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [البقرة: ١٨٥].

سعادة الدنيا ونعيم الآخرة

نودع رمضان ونحن نضع أمام أعيننا حقيقةً عظيمة نتذكرها، ألا وهي أن كل خير وسعادة وحُسن عاقبة ونصر وثواب في الدنيا والآخرة وعافية من الشرور والمكروهات سببُه الإيمانُ بكلام الله تعالى وتلاوته والعمل به كما بينه الله في كتابه، وكما هو مشاهدٌ لكل جيل في تاريخ البشرية، قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٢٩، ٣٠]، وقال تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ١٥٦].

نودع رمضان ونحن مُقرين ومعترفين بأن كل شر وعقوبة في الدنيا والآخرة، وكل ذُل وهوان وحرمان ونقصٍ من الثمرات ومحق للبركات سببه الإعراض عن كلام الله تعالى، والاستهانة بأوامره ونواهيه، قال تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» [الأنفال: ٥٤].

الأسف على حال المسلمين بعد رمضان

يمضي رمضان والناظر في حياة كثير من المسلمين في رمضان وبعد رمضان يأسف أشدَّ الأسف لما عليه بعضُ الناس هداهم الله بعد شهر الصيام من هجر المساجد، وترك الجماعات، والتساهل في الصلوات، واعتزال الطاعات، من قراءة القرآن والذكر والدعاء، والبذل والإحسان والصدقة، والإقبال على أنواع المعاصي والمنكرات، واستمراء الفواحش والمحرمات، وما ذاك إلاَّ من قلة البصيرة في الدين، وسوء الفهم لشعائر الإسلام، وما إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات ومتابعة الأفلام وعَفَن القنوات والفضائيات إلاَّ دليل على ضعف الإيمان في نفوس فئام من الناس، فاتقوا الله ولا تهدموا ما بنيتم من الأعمال، اتقوا الله يا من عزمتم على المعاصي بعد رمضان، فربُّ الشهور واحد، وهو على أعمالكم رقيب مشاهد: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء: ٥١]، واعلموا أن الموت يأتي بغتة، وما مرور الأعوام بعد الأعوام، وتكرار الليالي والأيام إلا مذكر بتصرُّم الأعمال وانتهاء الآجال والقدوم على الكبير المتعال.

شيخ الأزهر وفتاوى آخر الزمان !!

نودعُ رمضان ونحن أشد ما نكون إلى الثبات على دين الله أمام الفتن



وداع رمضان يذكرنا بقرب الرحيل، فاحذر الاغترار بالسلامة والإمهال، فالأيام تطوى، والأعمار تنتهي، فاجعل لك في بقية الليالي مدخراً، واغتنم آخر ساعاته بالدعاء، وابكِ على خطيئتك واندم على تفريطك



والأزمات، يقول رسول الله £ : «إن من ورائكم أيام الصبر، الصبرُ فيه مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله». قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».
أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه في الفتن.

ونحن نودع شهر الصالحات تفاجئنا أجهزة الإعلام بتصريح لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في لقائه مع نجيب جبرائيل رئيس منظمة الاتحاد المصري لحقوق الإنسان نورده بلا تعقيب:

يقول فضيلة الإمام: «إن الفتوى المثيرة للجدل الخاصة بعدم جواز وصية المسلم بماله لبناء كنيسة فتوى غير مقبولة»!!

وقال: «إن الشرع لا يمنع المسلم أن يوصي ببناء كنيسة إذ أنه حُر في أمواله لأنه قد يجد تعاونًا ومنفعة من شقيقه المسيحي بل يجد أن هناك من المسيحيين من يتبرعون لبناء المساجد».

وأضاف تعليقًا على الفتوى التي اعتبرت الوصية ببناء الكنائس نوعًا من المعصية يماثل التبرع ببناء نوادي القمار والملاهي وأماكن تربية القطط والكلاب والخنازير».

إن هذه الفتوى غير موقعة من مفتي الجمهورية ولا يُعتدُّ بها، مطالبًا بمعاقبة المسئول عن صدور هذه الفتوى، مشيرًا إلى أنه «ليس من الشرع بل من الخطأ الخوض في عقائد الآخرين لأن الديانة والعقيدة وما يؤمن به الشخص هي علاقة بينه وبين ربه». اهـ. بدون تعقيب!!

نائب هولندي متطرف يدعو إلى إلزام المسلمين بتحديد النسل !!

ساعات قليلة ويمضي رمضان، ولا تزال حلقات الكيد بالمسلمين تتابع، ومكر المتربصين يتسارع، وقوى الحق والباطل تتصارع: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا» [الفرقان: ٣١].

ومع ازدياد هجمات أهل الكفر فقد دعا رئيس حزب اليمين الهولندي «هولندا الحرة» جريت فليدرز في خطاب وجهه لحكومة هولندا والحكومة الأوروبية إلى ضرورة اتخاذ إجراءات من شأنها إلزام المسلمين المهاجرين إلى أوربا بتحديد النسل وقال: «إن الديموجرافيا السكانية تسير لصالح المسلمين، فبحلول عام ٢٠٥٠ سيشكل المسلمون نسبة ٢٠ ٪ من سكان أوروبا بعد أن كانوا لا يزيدون على ٥ ٪».

وطالب فليدرز حكومات الاتحاد الأوروبي بإحصائيات دقيقة لتعداد المسلمين في دول الاتحاد حاليًا، ومقارنتها بخمسة أعوام سبقت، وذلك لمعرفة حقيقة تزايد أعداد المسلمين في أوروبا بصورة خطيرة نتيجة تزايد هجرة المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى تزايد أعداد المواليد داخل الأسرة المسلمة مقارنة بالأسر الأوروبية.

وقد ذكرت صحيفة صنداي تلجراف البريطانية مؤخرًا أن حوالي خمس الاتحاد الأوروبي سوف يعتنقون الإسلام في عام ٢٠٥٠ في الوقت الذي تتصاعد فيه نسبة المسلمين في أوروبا باطراد.

ويضيف التقرير أن بريطانيا والتي يقل عدد قاطنيها عن سكان ألمانيا بحوالي ٢٠ مليون نسمة مهيأة لكي تصبح أكبر بلدان الاتحاد الأوروبي من حيث عدد السكان بحلول عام ٢٠٦٠؛ إذ يتوقع أن يصبح العدد الإجمالي لسكان البلاد ٧٧ مليون نسمة.

اللهم احفظ دينك، واحفظ المسلمين، وأهلك الكفرة أعداءك أعداء الدين، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



اتقوا الله يا من عزمتم على المعاصي بعد رمضان، ولا تهدموا ما بنيتم من الأعمال، فالتزموا بالطاعات من قراءة القرآن والذكر والدعاء والبذل والعطاء، فرب الشهور واحد وهو على أعمالك شاهد





السبيل إلى صلاح الدنيا والآخرة

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً» [النساء].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي». [م ٢٧٢٠ / ٢٠٨٧ / ٤]

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (هذا دعاء عظيم، جمع خير الدنيا والآخرة، والدين والدنيا، فحقٌّ على كل سامع له أن يحفظه، ويدعو به آناء الليل وآناء النهار، لعل الإنسان يوافق ساعة إجابة، فيحصل على خيري الدنيا والآخرة). [المفهم ٤٩ / ٧].

وهذه الآية الكريمة يرشدنا الله تعالى فيها إلى وسائل تحقيق صلاح الدين والدنيا والآخرة، وما أحوجنا إليها في هذا الزمان الذي فيه: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم].

وما أحوجنا إلى هذه الآية نتدبّرها ونفقهها ونعمل بها، عسى الله أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا.

استفتحت الآية بنداء العباد بلقب الإيمان: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» تذكيراً لهم بما يقتضيه الإيمان من السمع والطاعة وفورية الاستجابة لما يأمر الله به أو ينهى عنه، كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا» [الأحزاب].

وبعد النداء يأتي الأمر: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»، وقد تكرر هذا الأمر في القرآن كثيراً، ومنه: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ» [النور:٥٤]، «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ» [آل عمران: ٣٢]، ونحو ذلك كثير.

وطاعة الله ورسوله من موجبات الفلاح، قال تعالى:«إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [النور].

وطاعة الله ورسوله من موجبات الفوز، قال تعالى:«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» [النور].

وطاعة الله ورسوله من موجبات الرحمة، قال تعالى:«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [آل عمران].

وطاعة الله ورسوله من موجبات الدخول في الصالحين، قال تعالى:«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ



وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [النساء].

وكما أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله فقد حذّر من معصيته ومعصية رسوله، فقال تعالى:«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا» [الأحزاب]، وقال تعالى:«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» [النساء].

وأخبر سبحانه أن العصاة سيندمون أشد الندم فى وقت لا ينفعهم فيه الندم، فقال تعالى:«فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» [النساء]، وقال تعالى:«وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً» [الفرقان].

وقال تعالى:«يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ» [الأحزاب].

فعلينا أن نطيع الله ورسوله، فبهذه الطاعة يُصلحُ اللهُ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ويصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، فلا فلاح ولا نجاح، ولا سعادة ولا فوز إلا بطاعة الله ورسوله،«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا» [الأحزاب]، «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» [النساء].



فوطن نفسك - أيها المؤمن - على السمع والطاعة لله ورسوله، مهما كلفك ذلك، ومهما ظهر الأمر ثقيلاً، والتكليف شاقاً، فإن الخير كل الخير فى السمع والطاعة، قال تعالى:«وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» [النساء].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ :«لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ» [البقرة] الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والجهاد، والصيام والصدقة. وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:«سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» [البقرة]. فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى إثرها: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» [البقرة]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، وأنزل الله عز وجل:«لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» [البقرة]. قال: نعم. «رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» [البقرة]. قال: نعم. «رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ» [البقرة]. قال: نعم. «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة]. قال: نعم». [م ١٢٥ / ١١٥ و١١٦ / ١].

ثم قال تعالى:«وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ»، أي وأطيعوا أولي الأمر منكم، وإنما لم يكرر فعل:«أطيعُوا» مع أولي الأمر، وكرره مع الرسول ﷺ ، لأن الرسول يجب أن يطاع مطلقاً، لأنه لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، لا يأمر إلا بالمعروف، ولا ينهى إلا عن المنكر، وأما أولو الأمر فربما أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف، لذلك لم يكرر الفعل:«أطيعُوا» مع أولي الأمر، ليعلم المؤمنون أن طاعة أولي الأمر داخلة فى طاعة الله ورسوله، فإذا أمروا بغير ذلك فلا

سمع وطاعة.

وأولو الأمر هم الأمراء بلا خلاف، وإنما الخلاف في العلماء هل يشملهم اللفظ أو لا ؟ والراجح أن لفظ:«وَأُولِي الأَمْرِ» يشمل الأمراء والعلماء معاً، لأن الأمراء تولوا أمر الدنيا، والعلماء تولوا أمر الدين، وقد أمر الله تعالى بطاعة العلماء فى قوله: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» [النحل]، فما أمر بسؤالهم إلا ليطاعوا فى جوابهم، وفي طاعة أولي الأمر صلاح الدنيا، ومن هنا كثرت الأحاديث في الأمر بطاعتهم والنهي عن معصيتهم والخروج عليهم، حتى يصلح الله لنا دنيانا التي فيها معاشنا.

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة». [خ ٧١٤٩ / ١٢٥ / ١٣].

والمعنى: اسمعوا وأطيعوا لمن ولي أمركم وإن لم يكن أهلاً للولاية، فإن من شروط الإمامة أن يكون الإمام حراً، لأن العبد مملوك، فلا يملك، وأن يكون قرشياً، لقوله ﷺ : «الأئمة من قريش». [صحيح: الإرواء: ٥٢٠: ك ٧٥ / ٤] ومع ذلك ينصح النبى ﷺ الأمة بالسمع والطاعة لمن غلبها على الإمامة وليس أهلاً لها، حقناً للدماء، وصيانة للأعراض، وحتى يستقر الأمر ويستتب الأمن.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك». [م (١٨٣٦ / ١٤٦٧ / ٣)، ن ١٤٠ / ٧].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ». متفق عليه: خ(٧٠٥٢ / ٥ / ١٣)، م(١٨٤٣ / ١٤٧٢ / ٣)، ت(٢٢٨٥ / ٣٢٧ / ٣ بنحوه..)

وعن عوف بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ». والمراد بالصلاة هنا معناها اللغوي وهو الدعاء، أي تدعون لهم ويدعون لكم، «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قال: قلنا: يَا رَسُولَ الله أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ - أي أفلا نخرج عليهم ونقوم بثورة ضدهم - قَالَ: «لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ»، أى ما داموا يبنون المساجد ويعمرونها ويسمحون لكم بإقامة دينكم وإظهار شعائركم فلا تخرجوا عليهم، «ألا من ولي عليه وال فرآه يأتى شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعنّ يداً من طاعة». م (١٨٥٥ / ١٤٨١ / ٣)

الله أكبر! تأمل يا أخي هذا الكلام الذي يشع منه النور والهدى والرشاد! واعلم أن المشاكل لا تأتي إلا من الجهل بالقرآن والسنة، ومخالفة علماء الأمة!.

إذا فعل الحاكم المعصية فما واجبنا؟ نكره ما يأتي من المعصية، ولا ننزعن يداً من طاعة! فعصيانه أمر الله لا يبيح الخروج عليه، بل ولا مجرد معصيته هو فى الطاعة.

بل إن النبي ﷺ يدعو المسلمين إلى إجلال السلطان وإكرامه، ويَعُدُّ ذلك إجلالاً لله عز وجل، فيقول ﷺ : «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط». حسن: [ص.د: ٤٠٥٣]: د (٤٨٢٢ / ١٩٢ / ١٣).

ويقول ﷺ : «من أجلَ سلطان الله أجلهُ الله يوم القيامة». حسن: [س.ص: ٢٢٩٧]: ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٥ / ٤٩٢ / ٢).

يعني إن الذي يحترم السلطان ويقدّره، ويكرمه ويعزّره، يكرمه الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة، وفى المقابل يقول ﷺ :«من أهان السلطان أهانه الله» العقيدة الطحاوية، تعليق الألباني (ص ٤٧و٤٨).، لأن في إهانة المسلمين سلطانهم فتح ثغرة للعدو يدخل لهم منها، ولا يزال ينفخ في الرماد حتى يؤجج نار الفتنة، فتقوم الثورات التي تثير القلاقل والفوضى، وتقضي على أمن وسلامة البلاد، فتزهق الأرواح، وتراق الدماء، وتسلب الأموال، وتنتهك الأعراض، وتغتصب الأراضي، وتضيع المقدسات، وتكون فتنة يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً.

لذلك كان من عقيدة أهل السنة والجماعة ما

قاله الإمام الطحاوي - رحمه الله -: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية).

وقد نص على ذلك كل من كتب في عقيدة السلف أصحاب الحديث.

ومتى عرف المسلمون هذا وفقهوه أصلح الله لهم دنياهم التي فيها معاشهم.

ولما كان الاختلاف لابد أن يقع بين الرعية والراعي، أو بين الرعية نفسها، أرشد الله تعالى إلى المبادرة بالقضاء على هذا الخلاف قبل أن يستفحل، فقال تعالى:«فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» أي إلى كتاب الله وسنة رسوله حتى تعرفوا الحق فيما اختلفتم فيه فتذعنوا له وتسلموا تسليماً، حتى تظلوا أمة واحدة كما أراد الله.

ولكن ها هنا أمر لابد من التنبيه عليه وهو: لو أن رجلين اختلفا في أمر ما، ثم ردّاه إلى الكتاب والسنة فقد لا يتفقان إذا فسَّر كلٌّ منهما النصَّ وفْقَ فهمه هو، ومثالٌ على ذلك: اختلف اثنان في الحاكم بغير ما أنزل الله، فقال أحدهما هو كافر وذلك لصريح قوله تعالى «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» [المائدة]، وقال الثاني: ليس المراد بالكفر هنا الكفر المخرج من الملة، وإنما هو كفر عملي، أو كفر أصغر، مادام الحاكم المسلم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، فاختلفا، فلابد من مرجح يرجح أحد القولين، وهو فهم السلف لهذه الآية وغيرها من النصوص التي سمت بعض المعاصي كفراً، فرأينا ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، قال فيها: كفر دون كفر، وتبعه على ذلك الإمام البخاري - رحمه الله - فترجم في كتاب الإيمان من صحيحه: (باب كفران العشير، وكفر دون كفر)، (باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يُكفَّر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك)، (باب«وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» [الحجرات:٩]، فسماهم المؤمنين)، (باب ظلم دون ظلم). فدل فهم السلف على تعين المراد من ظاهر هذه النصوص. وهكذا.

فإذا اختلف اثنان فلابد من أن يكون هناك ضابط يحسم هذا الخلاف، وهذا الضابط هو فهم السلف الصالح، لذلك لابد أن نقول: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ففهم الصحابة هو الحجة لأن القرآن نزل بلغتهم، وقد تلقوا الوحي عن رسول الله ﷺ غضًا طريًا، وما أشكل عليهم سألوا عنه رسول الله ﷺ، فلا يجوز لمن بعدهم أن يخالفهم في فهمهم، ومن فعل فقد ضل سواء السبيل، كما قال رب العالمين سبحانه:«وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» [النساء]. ومن تمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة فقد هدي إلى صراط مستقيم، ولذلك قال تعالى: «فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً» [النساء]، ذلك أن الردَّ إلى الله ورسوله الذي يقضي على الخلاف والنزاع خير لكم من الاستمرار في الخلاف والنزاع الذي يوهن قوتكم ويفرق جمعكم، فيتسلط به عليكم عدوُّكم، كما قال الله تعالى:«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» [الأنفال].

وهكذا جمعت هذه الآية الواحدة خيري الدنيا والآخرة، فمن تحقق بها أصلح الله له دينه الذي هو عصمة أمره، ودنياه التي فيها معاشه، وآخرته التي إليها معاده، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [آل عمران]، وقال الرسول الكريم ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض». صحيح: [ص. ج: ٢٩٣٤]، ك (١٩٢ / ١).

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



العيد لمن؟!

إعداد/ صلاح عبدالمعبود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته وخلصت لله نيته وحسن تعامله مع الخلق.

يوم العيد يوم توزيع الجوائز والهدايا على الفائزين، إنه الفوز العظيم، فوز بالطاعة وظفر بالأعمال الصالحة.

إن العيد السعيد لمن صلى وصام وبر والديه ووصل الأرحام وقام بما عليه أتم قيام، إن العيد السعيد لمن تخلص بالصوم من ذنوبه، ولمن تخلص بالصوم من شهواته، ليس العيد لمن لبس الجديد، وإنما العيد لمن طاعاته تزيد، ليس العيد لمن تمتع بالشهوة وجرى وراء اللذة، إنما العيد لمن خرج من رمضان ونفسه مطمئنة.

كم نتمنى أن يمر العيد والقلوب عامرة بالإيمان، والنفوس مطمئنة بطاعة الرحمن، كم نتمنى أن يمر العيد وأمة الإسلام قد استعادت مجدها وتبوأت مكانتها في قيادة البشرية، كم نتمنى أن يمر العيد وقد تخلص الأقصى من دنس اليهود وعادت إليه الأيدي المتوضئة والنفوس المتطهرة وتشد إليه الرحال لتظفر بفضل الصلاة فيه، كم نتمنى أن يمر العيد وشرع الله محكم في كل بلاد المسلمين في العالم، قد ملاها عدلاً ونوراً يسعد في ظله الفقير وينعم في كنفه الضعيف.

مكانة العيد ومنزلته في الإسلام

إن أعياد المسلمين ترتبط بالطاعة والعبادة، فالفطر بعد صوم رمضان، والأضحى بعد صوم عرفة، عيد الفطر بعد أفضل الشهور عند الله، وعيد الأضحى ختام أفضل الأيام عند الله عز وجل.

إن العيد عندنا طاعة يفرح فيه المسلمون بطاعة ربهم عز وجل وهم يخرجون للصلاة واستماع الموعظة يكبرون الله تعالى.

هذه وقفات وتأملات نتعرف من خلالها على الهدي النبوي في العيد:

١- لكل قوم عيد:

اعلم أخي المسلم - رحمني الله وإياك - أن الله قد خصنا بيومي عيد هما عيد الفطر وعيد الأضحى فلا ينبغي لنا نحن المسلمين أن نشارك غيرنا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: ما هذا اليومان ؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: قد أبدلكم الله خيراً منهما يوم الأضحى، ويوم الفطر.

٢- الاغتسال ولبس أحسن الثياب:

روى البيهقي بسند صحيح أن رجلاً سأل علياً بن أبي طالب رضي الله عنه عن الغسل فقال علي رضي الله عنه: اغتسل كل يوم إن شئت فقال الرجل لا أحسن الغسل الذي هو الغسل فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر ويوم الفطر وكان ابن عمر رضي الله عنهما يلبس أحسن ثيابه في العيدين.

٣- إخراج زكاة الفطر:

يجب أداء صدقة الفطر قبل الخروج لمصلى العيد، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى المصلى، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، ومن لم يخرجها قبل الصلاة وجب عليه إخراجها قضاء فقد تعلقت بها ذمته.

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» (رواه أبي داود).

٤- الأكل قبل الخروج يوم الفطر:

كان رسول الله ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات ويأكلهن وتراً، وأما في عيد الأضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى. (صحيح رواه الترمذي).

ويحرم صوم يوم العيد ؛ لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نهى عن صيام يومين: يوم الفطر، ويوم النحر.

٥- خروج النساء والصبيان:

كان رسول الله ﷺ يخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين، فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قالت إحداهن: إن لم يكن لها جلباب، قال: فلتعرها أختها من جلابيبها. (متفق عليه).

٦- الخروج إلى المصلى ماشياً:

من السنة صلاة العيد في المصلى خارج البلد والذهاب إليها ماشياً لفعله ﷺ، كما ثبت في الصحيحين، ولأن هذا إجماع المسلمين فإن الناس في كل عصر ومصر يخرجون إلى المصلى فيصلون العيد.

٧- التكبير في العيدين:

السنة التكبير جهراً أثناء الذهاب إلى مصلى العيد حتى يخرج الإمام، قال الزهري: كان الناس يكبرون في العيد حين يخرجون من منازلهم حتى يأتونا المصلى وحتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام سكتوا، وأما في الأضحى فالتكبير يكون من صبح يوم عرفة إلى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة في الطريق والمنزل والمتجر وبعد الصلوات ومما صح عن الصحابة من صيغ التكبير: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً»، والنساء تكبرن دون رفع صوت حتى لا يسمعهن الرجال.

٨- وقت صلاة العيد:

هو ما بين ارتفاع الشمس قدر رمح أي بعد الشروق بحوالي ربع ساعة إلى الزوال، أي قبل أذان الظهر بعشر دقائق والأولى تأخير صلاة عيد الفطر ليتسع وقت إخراج زكاة الفطر وتعجيل عيد الأضحى ليتسع وقت الأضحية.

٩- صلاة العيد بلا سنة ولا إقامة:

خرج رسول الله ﷺ يوم الفطر فصلى ركعتين لم يصلِّ قبلهما ولا بعدهما. متفق عليه.

وثبت أنه كان لا يصلي قبل العيد شيئًا فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين. حسنه ابن حجر والألباني.

وروى البخاري ومسلم عن جابر بن سمرة قال: صليت مع النبي ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا قول الصلاة جامعة. والسنة أن لا يفعل شيئًا من ذلك.

١٠- كيفية الصلاة:

صلاة العيد ركعتان ؛ لقول عمر رضي الله عنه: «صلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفجر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة

ركعتان غير قصر على لسان نبيكم ﷺ، وقد خاب من افترى». (رواه النسائي في السنن الكبرى).

والسنة أن يكبر في الأولى سبع تكبيرات سوى تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمسًا سوى تكبيرة القيام، وذلك قبل القراءة، وله أن يرفع يديه مع كل تكبيرة، وصح عن ابن مسعود أن يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ بين كل تكبيرتين.

ويستحب أن يقرأ في الأولى: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى»، وفي الثانية بالغاشية ؛ لأن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهما في العيدين وفي الجمعة. رواه مسلم.

١١- هل تقضي صلاة العيد ؟

قال في المغني: من فاتته صلاة العيد فلا قضاء عليه، فإن أحب قضاءها فهو مخير إن شاء صلاها أربعًا، إما بسلام واحد وإما بسلامين، وإن شاء أن يصلي ركعتين كصلاة التطوع وإن شاء صلاها على صفة صلاة العيد بتكبير وهو مخير إن شاء صلاها وحده وإن شاء في جماعة.

١٢- الاستماع إلى الخطبة:

ويستحب للمصلين الجلوس للاستماع إليها ولا يلزمهم ذلك ؛ لقوله ﷺ : «إنا نخطب، فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب». (صحيح أبي داود).

كما يستحب للإمام أن يخص النساء بموعظة خاصة بهن اقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

١٣- مخالفة الطريق:

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق. أي: يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر.

١٤- اجتماع العيد والجمعة في يوم واحد:

في صحيح أبي داود عن إلياس قال: شهدت معاوية وهو يسأل زيد بن أرقم : أشهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يوم ؟ قال: نعم. قال: فكيف صنع ؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة، فقال: من شاء أن يصلي فليصلِّ، وفيه أيضًا عن عطاء قال: صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في جمعة أول النهار، ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا، فصلينا وحدانا وكان ابن عباس بالطائف فلما قدم ذكرنا ذلك له فقال: أصاب السنة، وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزأه عن الجمعة وإنا مجمعون». وفي قوله ﷺ : «إنا مجمعون» أن الإمام يصلي الجمعة إن شاء بمن حضره من المسلمين.

١٥- مخالفات الأعياد:

إن الله تعالى إذا أحب عبدًا شرح صدره للخير واستعمله في هذه الأوقات الفاضلة في أفضل الأعمال ليثيبه أفضل الثواب، ولكن الشيطان لعنه الله أخذ على نفسه أن يصد الناس عن سواء السبيل ويقعد لهم بكل صراط مستقيم، وبذلك وجب التنبيه على بعض العادات السيئة في الأعياد.

ومن ذلك: اشتغالهم عقب الصلاة بزيارة القبور قبل الذهاب إلى أهلهم، وقد كان رسول الله ﷺ يخرج مع الصحابة إلى الصحراء لصلاة العيد، وكان يذهب من طريق ويرجع من آخر، ولم يثبت أنه زار قبرًا في ذهابه أو إيابه مع وقوع المقابر في طريقه، فتلك العادة من تلبيس الشيطان فإنه لا يأمر بترك سنة حتى يعوضهم عنها شيئًا يخيل إليهم أنه قربى فعوضهم عن سرعة العودة إلى الأهل بزيارة القبور وزين لهم ذلك في هذا اليوم.

١٦- التوسعة على الأهل:

يشرع التوسعة على العيال في أيام العيد بما يدخل السرور على قلوبهم، ولكن بغير محرم، فيباح للفتيات الصغيرات الضرب بالدف فقط، وأن تغني غناء ليس فيه فحش ؛ لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان - ليستا بمغنيتين - تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند النبي ﷺ، فقال: دعهما، إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا.

قال الإمام مالك عندما سُئل عن الغناء: قال تعالى: «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ»، أفحق هو ؟ فإنه إن لم يكن الغناء حقًّا فهو باطل، وهل من عاقل يقول: الغناء حق؟

وقال الشافعي رحمه الله: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته، وقال أبو حنيفة رحمه الله: الغناء من الذنوب التي يجب تركها والابتعاد عنها وتجب التوبة منها فورًا كسائر الذنوب والمعاصي.

وبالجملة فإن من تتبع أحوال الناس في العيدين يعلم أنهم ابتدعوا فيها كثيرًا وتلاعبت بهم الأهواء حتى خرجت بهم عن الحد المشروع فيها وجعلوها أيام لعب وأكثروا فيها من المنكرات وشرب الخمور وحضور الملاهي والعكوف على أماكن الفسوق والفجور، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والله من وراء القصد.



خروج الموحدين من النار بشفاعة النبي المختار

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا. فيقول: لست هناكم. ويذكر خطيئته، ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله، فيأتونه، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتونه، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا موسى الذي كلمه الله. فيأتونه، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست هناكم ائتوا محمدًا ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجدًا فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدًا، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن». وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بالأرقام (٤٤، ٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٤٤٠، ٧٥٠٩، ٧٥١٠، ٧٥١٦)، كما أخرجه الإمام مسلم في الصحيح برقم (١٩٣/ ٤٧٤- ٤٧٨)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (١٢١٥٣٦ - ١٣٥٦٢ - ١٣٥٩٠ - ١٣٩٢٩ - ١٣٩٠)، وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه برقم (٢٥٩٣)، والإمام ابن ماجه برقم (٤٣١٢)، وكذا أخرجه ابن حبان وأبو يعلى والطيالسي وابن أبي شيبة وابن خزيمة في التوحيد، وأبو عوانة وابن منده والبغوي في شرح السنة والبيهقي في الأسماء والصفات.

أولاً: من روى الحديث من الصحابة

أورد الحافظ في الفتح أسماء بعض الصحابة الذين رووا الحديث فقال بعد أن ساق بعض روايات البخاري والطرق عن أنس رضي الله عنه قال: وأخرجه أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وعند الحاكم من حديث ابن مسعود، والطبراني من حديث عبادة بن الصامت، ولابن أبي شيبة من حديث سلمان الفارسي، وعند الترمذي وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة معًا، وأبو عوانة من رواية حذيفة عن أبي بكر الصديق، وعند البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عن الصحابة أجمعين.

هؤلاء عشرة من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم يروون حديث الشفاعة وبأقل من هذا العدد يحصل التواتر، وقد أخرج سعيد بن منصور وابن أبي عمر عن عبيد بن عمير أن رجلاً قال لعبيد - وكان الرجل يتهم برأي الخوارج يقال له: هارون أبو موسى -: يا أبا عاصم، ما هذا الذي تحدث به ؟

فقال له عبيد بن عمير: إليك عني، لو لم أسمعه من ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ لم أحدث به.

ثانيًا: اختلاف ألفاظ الحديث

قوله: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ». وفي رواية (جَمَعَ) والأول المعتمد، ووقع في روايةٍ أخرى: «إذا كان يوم القيامة مَاجَ الناس بعضهم في بعض»، وأول حديث أبي هريرة «أنا سيد الناس يوم القيامة، يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون». وفي رواية أبي زرعة زاد: «وتدنو الشمس من رءوسهم فيشتد عليهم حرها ويشق عليهم دنوها فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه». وفي أول حديث أبي بكر: «عرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة ؛ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيقطع الناس لذلك والعرق يلجمهم». وفي رواية معمر: «يلبثون ما شاء الله من الحبس»، وفي حديث سلمان: «تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الناس فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع الرجل حتى يقول: عق عق» أي يصوت بصوت مزعج مثل صوت العقعق، وهو طائر كالغراب. وفي رواية النضر بن أنس عن أبيه: «لغمِّ ما هم فيه والخلق مُلْجَمُونَ بِالْعَرَقِ، فأما المؤمن فهو عليه كالزُّكْمَة، وأما الكافر فيَغْشَا الموتُ». وفي حديث عبادة بن الصامت: «إني لسيد الناس يوم القيامة بغير فخر، وما من الناس إلا من هو تحت لوائي ينتظر الفرج، وإن معي لواءَ الحمد»، ووقع في رواية هشام وسعيد وهمام: «يجتمع المؤمنون فيقولون». قال الحافظ بعد أن ساق ذلك كله بأوسع مما أوردناه: وتبين من رواية النضر بن أنس أن التعبير بالناس أرجح، لكن الذي يطلب الشفاعة هم المؤمنون. اهـ.

قوله: «فيقولون لو استشفعنا» في رواية مسلم: «فيلهمون ذلك»، وفي لفظ: «فيهتمون بذلك». وفي رواية همام: «حتى يهتموا بذلك».

قوله: «على ربنا» في رواية هشام وسعيد: «إلى ربنا» وتُوَجَّهُ بأنه ضَمَّنَ استشفع معنى سعى. وفي حديث حذيفة وأبي هريرة معًا: «فيقوم المؤمنون حين تنزلف لهم الجنة فيأتون آدم»، ويؤخذ منه أن طلبهم الشفاعة يقع حين تنزلف لهم الجنة. ووقع في حديث أبي سعيد عند مسلم: «أنا أول من تنشق عنه الأرض...» الحديث، وفيه: «فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم».. إلخ الحديث.

قال القرطبي: «كأن ذلك يقع إذا جيء بجهنم، فإذا زفرت فزع الناس حينئذ وجثوا على ركبهم».

قوله: «حتى يريحنا» في حديث ابن مسعود عند ابن حبان: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار».

قوله: «خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه». زاد في رواية همام: «وأسكنك جنته وعلمك أسماء كل شيء»، وفي حديث أبي هريرة: «وأمر الملائكة فسجدوا لك»، وفي حديث أبي بكر: «أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله».

قوله: «فاشفع لنا عند ربنا» في رواية مسلم: «عند ربك»، وفي حديث أبي بكر وأبي هريرة: «اشفع لنا إلى ربك»، زاد أبو هريرة: «ألا ترى ما نحن فيه! ألا ترى ما بلغنا!».

قوله: «لست هناكم» قال القاضي عياض: هذا كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة، قاله تواضعًا، وإكبارًا لما يسألونه، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي، بل لغيري.

قال الحافظ: وقد وقع في رواية معبد بن هلال: «فيقول: لست لها». وكذا في بقية المواضع، وفي رواية حذيفة لست بصاحب ذاك. وهو يؤيد الإشارة المذكورة.

قوله: «ويذكر خطيئته» زاد مسلم: «التي أصاب» زاد همام في روايته: «أَكْلَهُ من الشجرة، وقد نهى عنها». وفي رواية هشام: «فيذكر ذنبه فيستحي». وفي حديث ابن عباس: «إني قد أخرجت بخطيئتي من الجنة». وفي حديث أبي سعيد: «وإني أذنبت ذنبًا فأهبطت به إلى الأرض». وفي حديث حذيفة وأبي هريرة معًا: «هل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟»، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور: «إني أخطأت وأنا في الفردوس فإن يغفر لي اليوم حسبي». وفي حديث أبي هريرة: «إني ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فَعَصَيْتُ، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري».

قوله: «ائتوا نوحًا، فيأتونه». في رواية مسلم: «ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وفي حديث أبي بكر: «انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح، ائتوا عبدًا شاكرًا»، وفيه أيضًا: «فينطلقون إلى نوح فيقولون: يا نوح اشفع لنا إلى ربك، فإن الله اصطفاك واستجاب لك في دعائك ولم يَدَعْ على الأرض من الكافرين ديارًا».

قوله: «فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي رَبَّهُ منها» في رواية هشام: «ويذكر سؤال ربه ما ليس له به علم». وفي رواية شيبان «سؤال الله»، وفي رواية معبد بن هلال مثل جواب آدم، لكن قال: «وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي».

قوله: «ائتوا إبراهيم» في رواية مسلم: «ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً»، وفي رواية معبد بن هلال: «ولكن عليكم بإبراهيم فهو خليل الله».

قوله: «فيأتونه» زاد أبو هريرة في حديثه فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض قم اشفع لنا إلى ربك، وذكر مثل ما لآدم قولاً وجوابًا إلا

أنه قال: «قد كنت كذبت ثلاث كذبات».

قوله: «فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته». زاد مسلم: «التي أصاب فيستحيي رَبَّهُ منها»، وفي حديث أبي بكر: «ليس ذاكم عندي»، وفي رواية همام: «إني كنت كذبت ثلاث كذبات». زاد شيبان في روايته: «قوله إني سقيم»، وقوله فعله كبيرهم هذا، وقوله لامرأته أخبريه أني أخوك». وفي رواية أبي نضرة عن أبي سعيد: «فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات»، قال رسول الله ﷺ : «ما منها كذبة إلا مَا حَلَ بها عن دين الله». ومَا حَلَ فعل ماض بمعنى جَادَلَ وعلى وزنه. ووقع في رواية حذيفة المقرونة مع رواية أبي هريرة: «لست بصاحب ذاك إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ».

قوله: «ائتوا موسى الذي كلمه الله» في رواية مسلم: «ولكن ائتوا موسى»، وزاد: «وأعطاه التوراة»، وفي رواية معبد بن هلال: «ولكن عليكم بموسى فهو كليم الله»، وفي رواية الإسماعيلي: «عبداً أعطاه الله التوراة وكلمه تكليمًا». زاد همام في روايته: «وقربه نجيًا»، وفي رواية حذيفة المقرونة: «اعمدوا إلى موسى فقوله (فيأتونه) في رواية مسلم فيأتون موسى فيقول»، وفي حديث أبي هريرة: «فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا». فذكر مثل آدم قولاً وجوابًا لكنه قال: «إني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها».

قوله: «فيقول لست هناكم». زاد مسلم: «فيذكر خطيئته التي أصاب، قتل النفس»، وللإسماعيلي: «فيستحيي رَبَّهُ منها»، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور: «إني قتلت نفسًا بغير نفس، وإن يغفر لي اليوم حسبي».

قوله: «ائتوا عيسى». زاد مسلم: «روح الله وكلمته»، وفي رواية هشام: «عبد الله ورسوله وكلمته وروحه»، وفي حديث أبي بكر فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى.

قوله: «فيأتونه» في رواية مسلم: «فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم». وفي حديث أبي هريرة فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فذكر مثل آدم قولاً وجوابًا، لكن قال: ولم يذكر ذنبًا، لكن وقع في رواية الترمذي في حديث أبي سعيد: «إني عُبِدْتُ من دون الله». وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي: «إني اتخذتُ إلهًا من دون الله»، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور نحوه، وزاد: «وإن يغفر لي اليوم حسبي».

قوله: «ائتوا محمدًا ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». وفي رواية مسلم: «عبد غفر له ما تقدم...» إلخ. زاد ثابت: «من ذنبه» وفي رواية هشام: «غفر الله له»، وفي رواية معتمر: «انطلقوا إلى من جاء اليوم مغفورًا له ليس عليه ذنب». وفي رواية ثابت أيضًا: «خاتم النبيين قد حضر اليوم، أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم عليه أكان يقدر على ما في الوعاء حتى يفض الخاتم». وعند سعيد بن منصور: «فيرجعون إلى آدم فيقول أرأيتم... إلخ». وفي حديث أبي بكر: «ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم فإنه أول من تنشق عنه الأرض».

قوله: «فيأتوني» في رواية النضر بن أنس عن أبيه: «حدثني نبي الله ﷺ : «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاء عيسى فقال: يا محمد هذه الأنبياء قد جاءتك يسألون لندعو الله أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء لغَمِّ ما هم فيه»، ووقع في رواية معبد بن هلال: «فيأتونَي فأقول: أنا لها أنا لها». زاد عقبة بن عامر عند ابن المبارك في الزهد: «فيأذن الله لي فأقوم فيثور من مجلسي أطيب ريح شمها أحد». وفي حديث سلمان عند ابن أبي شيبة: «يأتون محمدًا فيقولون: يا نبي الله أنت الذي فتح الله بك وختم، وغفر لك ما تقدم وما تأخر، وجئت في هذا اليوم آمنًا وترى ما نحن فيه، فقم فاشفع لنا إلى ربنا، فيقول: أنا صاحبكم، فيجوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة». وفي رواية معتمر: «فيقول: أنا صاحبها».

قوله: «فأستأذن» في رواية هشام: «فأنطلق حتى استأذن».

قوله: زاد همام «في داره فيؤذن لي». قال القاضي عياض: أي في الشفاعة، وتعقب بأن ظاهر ما تقدم أن استئذانه الأول والإذن له إنما هو في دخول الدار وهي الجنة، وأضيفت إلى الله تعالى إضافة تشريف، ومنه: «والله يدعو إلى دار السلام» على القول بأن المراد بالسلام هنا الاسم العظيم وهو من أسماء الله تعالى، قال الحافظ: وتقدم في بعض طرق الحديث أن من جملة سؤال أهل الموقف استفتاح باب الجنة. وقد ثبت في صحيح مسلم أنه أول من يستفتح باب الجنة، وفي رواية علي بن زيد عن أنس رضي الله عنه عند الترمذي: «فآخذ حلقه باب الجنة فأقعقعها فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فأخر ساجدًا»، وفي رواية ثابت عن أنس عند مسلم: «فيقول الخازن: من ؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»، وله من رواية المختار بن فلفل عن أنس: «أنا أول من يقرع باب الجنة»، وفي رواية قتادة عن أنس: «آتي باب الجنة فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحبًا بمحمد»، وفي حديث سلمان: «فيأخذ بحلقه الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيفتح له حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له». وفي حديث أبي بكر الصديق: «فيأتي جبريل ربه فيقول: ائذن له».

قوله: «فإذا رأيته وقعت له ساجدًا» في رواية أبي بكر: «فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي»، وفي رواية لابن حبان من طريق ثوبان عن أنس: «فيتجلى له الرب ولا يتجلى لشيء قبله». وفي حديث أُبَيّ بن كعب عند أبي يعلى: «يعرفني الله نفسه فأسجد له سجدة يرضى

بها عني، ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عني».
قوله: «فيدعني ما شاء الله» زاد مسلم: «أن يدعني»، وكذا في رواية هشام، وفي حديث عبادة بن الصامت: «فإذا رأيت ربي خررت له ساجدًا شاكرًا له». وفي رواية معبد بن هلال: فأقوم بين يديه فيلهمني محامد لا أقدر عليها الآن، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا». وفي حديث أبي بكر الصديق: «فينطلق إليه جبريل فيخر ساجدًا قدر جمعة».
قوله: «ثم يقال لي ارفع رأسك». في رواية مسلم: «فيقال يا محمد». وكذا في أكثر الروايات، وفي رواية النضر بن أنس: «فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك».
قوله: «وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع». سقط من أكثر الروايات «وقل يسمع» ووقع في حديث أبي بكر: «فيرفع رأسه فإذا نظر إلى ربه خر ساجدًا قدر جمعة». وفي حديث سلمان: «فينادي يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وادع تجب».
قوله: «فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني» في رواية هشام: «يعلمنيه»، وفي رواية ثابت: «بمحامد لم يحمده بها أحد قبلي، ولا يحمده بها أحد بعدي»، وفي حديث سلمان: «فيفتح الله له من الثناء والتحميد والتمجيد ما لم يفتح لأحد من الخلائق».
قوله: «ثم أشفع» في رواية معبد بن هلال: «فأقول رب أمتي أمتي». وفي حديث أبي هريرة مثله.
قوله: «فيحد لي حدًا» في رواية هشام عن قتادة عن أنس: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة». وفي رواية ثابت عن أنس عند أحمد: «فأقول: أي رب أمتي أمتي، فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة»، ثم ذكر نحو ما تقدم. وقال: «مثقال ذرة». ثم قال: «مثقال حبة من خردل». ووقع في طريق النضر بن أنس قال: «فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا، فما زلت أتردد على ربي لا أقوم منه مقامًا إلا شفعت». وفي حديث سلمان: «فيشفع في كل من مكان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة من خردل فذلك المقام المحمود».
قوله: «ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة» في رواية هشام: «فأحد لهم حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع ثانيًا فأستأذن» إلى أن قال: «ثم أحد لهم حدًا ثالثًا فأدخلهم الجنة ثم أرجع»، ووقع عند أحمد من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: «ثم أعود الرابعة فأقول: يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن». ووقع في رواية معبد بن هلال عن أنس أن الحسن حدث معبدًا بعد ذلك بقوله: «فأقوم الرابعة» وفيه قول الله له: «ليس ذلك لك».
قوله: «إلا من حبسه القرآن، وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود». في رواية هشام: «إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود». بإبهام قائل: «أي وجب عليه الخلود». وتبين من رواية أبي عوانة أنه قتادة أحد رواته، ووقع في رواية هشام وسعيد: «فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود». وسقط من رواية سعيد عند مسلم: «ووجب عليه الخلود»، فتمنى أن قوله (وجب عليه الخلود) في رواية هشام وسعيد مدرج في المرفوع، وذلك للتصريح بأنها من قول قتادة.
ثالثًا: الميزات المذكورة في الحديث لكل واحد من هؤلاء الرسل:
أما آدم عليه السلام فجاء في حقه أنه: أبو البشر، وأن الله تعالى خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، واصطفاه الله سبحانه وتعالى.
فهذه ست ميزات تميز بها آدم عليه السلام، لم يشاركه فيها أحد إلا الأخيرة وهي اصطفاء الله تعالى له، فقد اشترك فيها كل الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وكذا نفخ الله فيه من روحه شاركه فيها عيسى عليه السلام، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.
وأما نوح عليه السلام، فجاء في حقه في هذا الحديث: أنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وأنه أبو البشر بعد أبيهم، وأنه سماه الله عبدًا شكورًا، وأنه استجاب الله دعاءه على قومه فلم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا، وأن الله تعالى اصطفاه، وقد قال له الناس: أنت أول رسول بعثك الله إلى أهل الأرض لأن آدم سبق إلى وصفه بأنه أول رسول فخاطبه أهل الموقف بذلك.
قال الحافظ: وقد استشكلت أولية نوح في إرساله إلى أهل الأرض كما جاء في هذه الأحاديث مع أن آدم نبي مرسل وكذا شيث وإدريس وهم قبل نوح، وبيَّن أنه أجيب عن ذلك بأجوبة، وحاصلها ؛ أن الأولية مقيدة بقوله: «أهل الأرض»، لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض، ويشكل عليه حديث جابر في قوله ﷺ : «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»، ويجاب بأن بعثته إلى أهل الأرض باعتبار الواقع لصدق أنهم قومه بخلاف عموم بعثة نبينا محمد ﷺ لقومه ولغيرهم، أو أن الأولية كانت مقيدة بكونه أهلك قومه، أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جنح ابن بطال في حق آدم، وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر فإنه كالصريح في أنه كان مرسلاً، وفيه التصريح بإنزال الصحف على شيث وهو من علامات الإرسال، وأما إدريس فذهبت طائفة إلى أنه كان في بني إسرائيل وهو إلياس، وقد ذكر ذلك في أحاديث الأنبياء، ومن الأجوبة أن رسالة آدم كانت لبنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته، ونوح كانت رسالته إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد.
وللحديث بقية تتبع في العدد القادم إن شاء الله.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار



المرحلة الثانية

فيما كان على شرط الشيخين أو أحدهما ولم يخرجاه

٢٠٢٣. عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ أَخَوَان عَلَى عَهْد النَّبيِّ ﷺ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبيَّ ﷺ، وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ به». ت (٢٣٤٥) الحاكم (١ / ٩٤) وقال: «هَذَا حَديثٌ صَحيحٌ عَلَى شَرْط مُسْلمٍ وَرُوَاتُهُ عَنْ آخرهمْ أَثْبَاتٌ ثقَاتٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

– معنى «ترزق به»: أي بسببه لأنه عابد وطالب علم فبدعائه واستغفاره يكون سببًا في جلب الرزق لأخيه ولنفسه.

٢٠٢٤. عَنْ أَبي الْمَليح، عَنْ أَبيه (أسامة بن عمير)، أَنَّ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ يَوْمَ مَطَرٍ «فَأَمَرَ النَّبيُّ ﷺ مُنَاديَهُ أَنَّ الصَّلاَةَ في الرِّحَال». د (١٠٥٧) صحيح على شرط الشيخين وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاه وأخرجه النسائي ح (٨٥٣) حم (٥ / ٧٥) ح (٢٠٧٣٩).

٢٠٢٥– عَنْ أَنَس رضي الله عنه، أَنّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ «يُشيرُ في الصَّلاَة». د (٩٤٣) هذا حديث على شرط الشيخين، حم (١٢٤٣٠) عب (٣٢٧٦).

٢٠٢٦. عَنْ أَنَس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ منَ الْبَرَص، وَالْجُنُون، وَالْجُذَام، وَمنْ سَيِّئْ الأَسْقَام» د (١٥٥٤) صحيح على شرط مسلم، حم (١٣٠٢٦) طي (٢١٢٠) حب (١٠١٧) الدعاء طب (١٣٤٢) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٢٧. عَنْ أُسَامَةَ بْن شَريك رضي الله عنه، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسهمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الأَعْرَابُ منْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أَنَتَدَاوَى ؟، فَقَالَ: تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحدٍ الْهَرَمُ». د(٣٨٥٥) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،ت (٢٠٣٨).

٢٠٢٨. عَنْ أَنَس رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَخْبرْني بمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ منَ الصَّلاَة، فَقَالَ: «افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى عبَاده صَلَوَات خَمْسًا»، قَالَ: هَلْ قَبْلَهُنَّ أَوْ بَعْدَهُنَّ ؟ قَالَ: افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى عبَاده صَلَوَات خَمْسًا، قَالَهَا ثَلاَثًا، قَالَ: وَالَّذي بَعَثَكَ بالْحَقِّ، لاَ أَزيدُ فيهنَّ شَيْئًا، وَلاَ أُنْقصُ منْهُنَّ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ». حم (١٣٤٠٣)، ن (٤٥٩) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٢٩. عن أَنَس بْنَ مَالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبيَد أَحَدكُمْ فَسيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرسَهَا، فَلْيَفْعَلْ». حم (١٢٥٦٩) طي (٢١٨١) هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح على شرط مسلم.

٢٠٣٠. عن أَنَس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَاءُ الرَّجُل غَليظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَة رَقيقٌ أَصْفَرُ، فَأَيُّهُمَا سَبَقَ كَانَ الشَّبَهُ». ن (٢٠٠) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،حب (٦١٨٥).

٢٠٣١. عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدي وَنَصيري بكَ أَحُولُ وَبكَ أَصُولُ وَبكَ أُقَاتلُ». د(٢٦٣٢) ت(٣٥٨٤) ن (١٠٣٦٥) حب (٤٧٦١) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

– العضد بالفتح وبالضم وبالكسر، والعضد: الناصر والمعين، من القاموس، وأنت عضدي أى: معتمدي فلا أعتمد على غيرك.

٢٠٣٢. عن أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَتْ للنَّبيِّ ﷺ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ منْهَا». د (٤١٦٢).

سُكَّةٌ: بضم السين المهملة وتشديد الكاف: نوع من الطيب عزيز، وقيل: الظاهر أن المراد بها: ظرف فيها طيب ويشعر به، قوله: يتطيب منها لأنه لو أراد بها نفس الطيب لقال يتطيب بها.

٢٠٣٣. عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً منْ كلاَب سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ عَنْ عَسْب الْفَحْل «فَنَهَاهُ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّا نُطْرقُ الْفَحْلَ، فَنُكْرَمُ، «فَرَخَّصَ لَهُ في الْكَرَامَة». ت (١٢٧٤)، ن (٤٦٧٢) هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢٠٣٤. عَنْ أَنَس رضي الله عنه، في قَوْله: «كَانُوا قَليلاً منَ اللَّيْل مَا يَهْجَعُونَ»، قَالَ: كَانُوا يُصَلُّونَ فيمَا بَيْنَ الْمَغْرب وَالْعشَاء. د(١٣٢٢) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٣٥ - عن أَنَسَ بْنَ مَالِك رضي الله عنه، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ £ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً لَمْ يَرْتَحِلْ حَتَّى يُصَلِّيَ الظُّهْرَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ بِنِصْفِ النَّهَارِ ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ بِنِصْفِ النَّهَارِ». د(١٢٠٥) هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ن (٤٩٨)، حم (١١٧٩٤، ١١٨٩٩).

٢٠٣٦- عَنْ أَنَس رضي الله عنه، قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ: «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمْ النَّاس، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ». حم (١٢٤٧٥،١٢٥٦٠) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٣٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنّ النَّبِيَّ £ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ. أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي». حم (١٢٧٨٠، ١٣٥٢٧)، ع (٣٢٣٢) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٣٨- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ £ إِذَا اجْتَهَدَ لأَحَدٍ فِي الدُّعَاء، قَالَ: «جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صَلاةَ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَصُومُونَ النَّهَار، لَيْسُوا بِأَثَمَةٍ وَلا فُجَّارٍ». عبد بن حميد (١٣٦٠) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٣٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ £ بِبَرَاءَةٌ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ: «لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي، فَدَعَا عَلِيًّا فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا». ت (٣٠٩٠)، ن (٨٤٠٦) هذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢٠٤٠- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَتَزَوَّجُ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ ؟ قَالَ: «إِنَّ فِيهِمْ لَغَيْرَةً شَدِيدَةً». ن (٣٢٣٣) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٤١- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ النَّاسُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، غَلاَ السِّعْرُ، فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ». د (٣٤٥١) ت (١٣١٤)، جه (٢٢٠٠)، حم (١٣٦٤٣) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٤٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». حم (١٢٩٢٧)، د (٤٨٧٨) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٤٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ £ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ». ت (٦٩٦)، حم (١٢٢٦٥)، د (٢٣٥٦) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٤٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ: «لَمَّا نَفَخَ فِي آدَمَ، فَبَلَغَ الرُّوحُ رَأْسَهُ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ». حب (٦١٦٥) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٤٥- عَنْ أَوْسِ بن أَوْسٍ قَالَ: إِنَّا لَقُعُودٌ عِنْدَ النَّبِيِّ £ ، وَهُوَ يَقُصُّ عَلَيْنَا وَيُذَكِّرُنَا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَارَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ £ : «اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ»، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ £ ، فَقَالَ: «هَلْ تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اذْهَبُوا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، حَرُمَ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ». جه (٣٩٢٩)، حم (١٥٧٢٧)، خ (٣٩٣)،ن (٣٩٨٢)، ش (٣٣٦٤٧، ٢٩٤١٨)، دى (٢٤٤٦) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٤٦- عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدٍ المزني رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ «نَهَى عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ». د (٣٤٧٨)، حم (١٥٠١٨)، تخ (١٤١٠)، ن(٤٦٦٢، ٤٦٦٣)، ش(٢١٢٢٤). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاه.

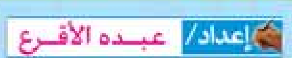
٢٠٤٧- عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». د(١٤٩٣)،حم(٢٢٤٤٢)،ت(٣٤٧٥)، ن(٧٦١٩)، جه(٣٨٥٧)، حب(٨٩٢)، عب(٤١٧٨)، ش(٢٩٨٥١، ٣٦٦١٨) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٤٨- عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ». ن (١٨٢٨، ١٨٢٩)،حم (٢٢٤٥٤)، ت(٩٨٢)، جه(١٤٥٢)، حب(٣٠١١). هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢٠٤٩- عَنْ بِشْرِ بْنِ سُحَيْمٍ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ £ خَطَبَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، فَقَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ هَذِهِ الأَيَّامَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ». جه(١٧٢٠)،حم(١٥٠٠٢)،ن(٢٩٠٣) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٥٠- عن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاك رضي الله عنه، قَالَ: «نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ £ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ £ ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ £ : هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟، قَالُوا: لاَ، قَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». د(٣٣١٣) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

تذكر في يوم العيد



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإننا نعيش فرحةً عظيمةً بعيد الفطر المبارك، إنَّه عيدٌ امتلأتَ القلوب به فرحًا وسرورًا، وانشرحت الصدور به لذة وحبورًا، قد خرج الناس في هذا اليوم العظيم لربهم حامدين ومعظمين ومكبرين، ولنعمته بإتمام الصيام والقيام مغتبطين وشاكرين، ولخيره وثوابه وأجره مؤملين وراجين، يسألون ربهم الكريم أن يتقبل أعمالهم، وأنْ يتجاوز عن سيئاتهم، وأن يعيد عليهم عيدهم هذا أعوامًا عديدةً، وأزمنةً مديدة على حُسن طاعةٍ، وخير عمل.

وحريٌ بنا جميعًا ونحن نعيش فرحة هذا العيد السعيد بإكمال شهر الصيام والقيام، أن نتذكر أمورًا مهمة لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا في يوم عيدنا.

تذكروا أيها المسلمون وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد إخوانًا لكم وافتهم المنيةُ وأدركهم الموتُ فلم يُدْركوا يومكم هذا، فهم في قبورهم متحجزون، وبأعمالهم مرتهنون، وبما قدمت أيديهم في هذه الحياة مجزيون.

وتيقنوا أيها الإخوة أنكم إلى ما صاروا إليه صائرون، فهم السابقون ونحن اللاحقون، فلا تنسوهم من دعوة صالحة بأنْ يقيل اللهُ عثراتهم ويغفر زلاتهم، ويتجاوز عن خطيئاتهم.

فهذا من سمات المؤمنين العظيمة، وصفاتهم الكريمة الدالةِ على كمال إيمانهم، وتمام دينهم ونبل أخلاقهم، وسلامة صدورهم وألسنتهم تجاه إخوانهم المؤمنين، فليس في قلوبهم حسد أو غل أو بغض أو ضغينة، وليس في ألسنتهم غيبة أو نميمة أو كذب أو وقيعة، بل لا يحملون في قلوبهم إلا المحبة والخير والرَّحمة والإحسان والعطف والإكرام، ولا يتلفظون إلا بالكلمات النافعة والأقوال المفيدة والدعوات الصادقة، هؤلاء الذين قال الله فيهم: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [الحشر: ١٠]. فنعتهم ربهم بخصلتين عظيمتين وخلتين كريمتين إحداهما تتعلق باللسان، فليس في ألسنتهم تجاه إخوانهم المؤمنين إلا النصح والدعاء.

والخصلة الثانية متعلقة بالقلب، فقلوبهم سليمة تجاه إخوانهم، ليس فيها غل أو حسد أو ضغينة.

وتذكروا أيها الإخوة وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد في عافية إخوانًا لكم أقعدهم المرض، وعاقهم عن مشاركتكم، فهم في المستشفيات على الأسرَّة، منهم من أمضى الأسابيع العديدة، ومنهم من أمضى الشهور الطويلة،، ومنهم من لا يغمضُ له جفنٌ، ولا يهدأ له بال من آلامٍ متعبةٍ وأوجاعٍ مؤلمة، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من صحةٍ وعافيةٍ وسلامةٍ، ولا تنسوا إخوانكم أولئك من دعوةٍ صالحةٍ أن يَشفيَ الله مريضهم، ويزيل بأسهم، ويفرِّجَ همَّهم، ويكشف كربهم.

وتذكروا وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد بأمن وأمان وراحة واطمئنان إخوانًا لكم أهلكتهم الحروبُ، وأرَّقتهم الخطوبُ وأقلقتهم الفتنُ، وتسلط عليهم العدوُّ، فأُريقتْ منهم الدماء، ورُمِّلت النساء، ويُتِّم الأطفال، ونُهِبَت الأموال، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من أمن وأمان وعافية، ولا تنسوا إخوانكم أولئك من دعوة صالحةٍ بأن يُنفِّسَ اللهُ كربهم، ويُفَرِّج همهم، ويكْبت عدوهم.

وتذكروا وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد بالحلل البهية والملابس الجميلة إخوانًا لكم أرَّقهم الفقرُ، وأقعدتهم الحاجةُ، فمنهم من لا يجد لباسًا يواريه أو مسكنًا يؤويه، أو طعامًا يشبعه ويغذيه، أو شرابًا يرويه، بل منهم من أدركه حَتْفُهُ في مجاعات مهلكة، وقحط مفجع، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من نعمةٍ وخيرٍ، ولا تنسوا إخوانكم هؤلاء من دعوات صالحة بأن يُغني اللهُ فقيرهم، ويشبعَ جائعهم، ويكسوَ عاريهم، ويسدَّ حاجاتهم ويكشفَ فاقتهم، ولا تنسوهم كذلك من مدِّ يد المساعدة لهم: «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا» [المزمل: ٢٠].

وتذكروا وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد بإكمال الطاعة في رمضان وإتمام الصيام والقيام إخوانًا لكم قيدتهم الذنوب، وكبلتهُم الخطايا، فمضى المؤمنون المجدّون في طاعة الله، وتنافس الصالحون الناصحون في التقرُّب إليه، وهؤلاء في لهوهم وغيهم سادرون، وعن طاعة الله والتقرب إليه متقاعسون، وعلى المعاصي والخطايا والآثام مكبُّون، تمرُّ عليهم مواسمُ العبادة والمنافسة في فعل الخير فلا يتحركون، فاحمدوا الله على ما أمدَّكم به من توفيقه، وما هداكم إليه من العمل ابتغاء مرضاته، وسلوه الثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، ولا تنسوا إخوانكم أولئك من دعوة صالحة، بأن يهديهم اللهُ إلى الخير، وأن يردهم إلى الحق ردًا جميلاً، وأن يصلح ضالهم، ويوفق حائرهم ويعافي مبتلاهم، قال £ : «دعوة المرءِ المسلم لأخيه المسلم بظهرِ الغيب مستجابةٌ، عند رأسه ملكٌ موكلٌ كلما دعا لأخيه بخير قال الملكُ الموكلُ به: آمين، ولك بمثل». [مسلم (٢٧٣٣) باب فضل الدعاء].

وقال £ : «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات، كَتَبَ اللهُ له بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ حسنةً». [صحيح الجامع: ٦٠٢٦].

وتذكروا وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد:

صبيةٌ صغارًا وذريةٌ ضُعفاءُ فقدوا آباءهم وهم في أمس الحاجة إلى من يُعزيهم عن فقْد أبيهم ويجدونَ عندهم من العناية والقيام بمصالحهم ما يكونُ بإذن الله سببًا لإخراجهم رجالاً في الحياة تقر بهم العيون ويشرحون الصدورَ، فالذي يكفلُ اليتيم ويتعهده ويلاحظه ويؤدبه ويُهذِّبُ نفسَه وكأنَّ والدهُ حَيٌّ لا يفقدُ من والدِه إلا جسمه ؛ له عند الله تعالى الأجر الجزيل والثواب العظيم، وكان حريًا أن يكون لرسول الله £ رفيقًا في الجنة، قال £ :«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما. [البخاري: ٦٠٠٥، باب من يعول يتيما].

وقال £ : «كافلُ اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة». [مسلم: ٢٩٨٣، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم].

وتذكروا وأنتم تعيشون فرحة العيد إخوانًا لكم قد حرش بينهم الشيطان فأوقع بينهم العداوة والبغضاء، فانهضوا للإصلاح بينهم كما أمركم الله: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [الأنفال: ١]. وقال تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» [الحجرات: ٩].

فإنَّ إصلاح ذات البين يُذْهِبُ وغرَ الصُّدور ويجمعُ الشملَ ويضمُّ الجماعةَ ويزيلُ الفرقة، والإصلاح بين الناس في دين الله مبعثُ الأمنِ والاستقرار، ومنبعُ الألفةِ والمحبة، ومصدرُ الهدوءِ والطمأنينة، والصلحُ خيرٌ تهبُّ به على القلوبِ المتجافيةِ رياحُ الأنس ونسمات النَّدى، صلحٌ تسكنُ به النفوس ويُتلاشى به النزاع، والصلح نهج شرعي يصان به الناس وتحفظ به المجتمعات من الخصام والتفكك.

بالصلح تُسْتَجْلَبُ المودات، وتُعمر البيوتات، ويُبعثُ الأمنُ في الجنبات، ومن ثَمَّ يتفرغُ الرجالُ للأعمال الصالحة، يتفرغون للبناء والإعمار بدلاً من إفناء الشهور والسنواتِ في المنازعات، والكيد في الخصومات، وإراقةِ الدماءِ، وتبديد الأموال، وإزعاج الأهلِ والسلطان.

والإصلاح بين الناس وظيفةُ الأنبياء، فقد كان رسولنا £ يُصلح بنفسه بين المتخاصمين، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ أهلَ قباء اقتتلوا

حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله £ بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم». [البخاري: ٢٦٩٣ / ٣٠٠ / ٥].

وكان £ يُرغب في إصلاح ذات البين ويحثُّ عليه، فقال £ : «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». [متفق عليه].

وبيَّن £ أنَّ أفضل الصدقات الإصلاح بين الناس ؛ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». [صحيح الترغيب: ٢٨١٤].

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي £ قال لأبي أيوب: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى. قال: «صِل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا». [صحيح الترغيب: ٢٨١٨].

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله £ : «يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله ؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا». [صحيح الترغيب: ٢٨٢٠].

والإمام الأوزاعي - رحمه اللهُ - يقول: «ما خَطوةٌ أحبّ إلى الله عز وجل من خطوةٍ في إصلاح ذات البين».

ولقد بلغت العناية بالصلح بين المسلمين إلى أنه رُخِّصَ فيه بالكذب مع قباحته وشناعته وشدة تحريمه. عن أم كلثوم رضي الله عنها: سمعت رسول الله £ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فَيَنْمِي خيرًا أو يقول خيرًا». [متفق عليه]. وقد وعد الله تعالى من أصلح بين الناس إيمانًا واحتسابًا أن يؤتيه أجرًا عظيمًا، فقال تعالى: «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» [النساء: ١١٤].

وعلى المتخاصمين المتهاجرين أن يقبلوا الصلح ولا يرفضوه، فقد قال الله تعالى: «وَالصُّلْحُ خَيْرٌ» [النساء: ١٢٨].

وقال النبيُّ £ : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار». [صحيح الجامع: ٧٦٣٥].

ويكفي من سيئات القطيعة بين المسلمين الحرمان من مغفرة الله عز وجل لهم، قال £ : «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرءً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا». [مسلم: ٢٥٦٥ / ٣٦].

فاصطلحوا أيها المتشاحنون، وتواصلوا أيها المتقاطعون، وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام والتعاون والأخوة والوئام، ولا بد من العفو عن الزلات والغضِّ عن الهفوات، ولْيسارع كل متشاحنين إلى التسامح والصفاء، فخيرهما الذي يبدأ بالسلام، قال £ : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ: يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». [متفق عليه].

والعفو عند المقدرة من شيم الكرام، فهذا يوسف عليه الصلاة والسلام ؛ الكريم ابن الكريم ابن الكريم لما قال له إخوته: «تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» [يوسف: ٩١، ٩٢].

وتذكروا وأنتم تعيشون فرحة هذا العيد دعوة الله لكم بالاعتصام والنهي عن الفرقة والاختلاف، فالاتفاق رحمة والاختلاف عذاب، قال الله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» [هود: ١١٨ - ١١٩].

فالمرحومون متفقون لا يختلفون، وإذا اختلفوا - اختلافًا هم فيه معذورون - لا يتباغضون، ولا يتدابرون.

إخواني في الله - تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، ورزقنا وإياكم حسن الختام، وجعلنا وإياكم من أهل الجنة دار السلام، وأعاد علينا وعليكم هذا العيد أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة، ونحن في أمن وأمان، وبر وإيمان، وطاعة وإحسان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الصبر طريق إلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فرمضان شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة، قال تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ١٥٣].

قال مجاهد: الصبر في هذه الآية هو الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر، فجاء الصوم والصلاة على هذا القول في الآية متناسباً في أن الصيام يكسر الشهوة ويزهد في الدنيا، والصلاة تورث الخشوع وتنفي الكبر وترغب في الآخرة.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: صم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر.

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

ورمضان شهر الصبر؛ فإن الصائم يصبر فيه على الطاعة، ويصبر كذلك عن المعاصي، فيَكُفُّ نفسه عما كان يستمتع به من المباحات طاعة لله جل وعلا وتحقيقاً للتقوى، ويحبس نفسه عن المعاصي ويُلزمها بكثير من القربات من قيام وصدقة وصلة للأرحام وإطعام للطعام، ويصبر فيه على ألم الجوع والعطش.

وهو كذلك شهر الجهاد: والجهاد من الصبر، وقد غزا النبي ﷺ في شهر رمضان غزوتين، من أعظم غزواته جميعاً هما: غزوة بدر وغزوة الفتح.

ولقد كان الصحابة يعرفون أن رمضان شهر الصبر، وكان صبرهم عظيماً على أعباء الدعوة إلى الله، وعلى أعباء الجهاد، وعلى طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله، فكان ﷺ وأصحابه يبلغون من الصبر غايته في شهر رمضان الذي هو شهر الصبر.

فهل استفدنا هذا الدرس من صوم رمضان وقيامه ؟!

جزاء الصابرين بغير حساب

لقد وصف الله تعالى جزاء الأعمال وجعل لها نهاية واحدة فقال: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» [الأنعام ١٦٠]، وجعل جزاء الصدقة في سبيل الله فوق هذا فقال: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: ٢٦١].

لكنه جعل أجر الصابرين بغير حساب فقال: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر: ١٠] وقال: «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» [الشورى: ٤٣].

وقد قيل إن المراد بالصابرين في قوله «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ» [الزمر: ١٠] أي الصائمون، لقوله تعالى في صحيح السنة عن النبي ﷺ : «الصيام لي وأنا أجزي به». فلم يذكر ثوابًا مقدرًا كما لم يذكره في الصبر والله اعلم.

جزاء الصابرين الجنة

أخبر الله سبحانه أن ملائكته تسلم على الصابرين في الجنة بصبرهم كما قال تعالى:



الجنة

«وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فنِعْمَ عُقْبَى الدار».

وقال تعالى: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً».

وقال تعالى: «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً».

وورد في سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد).

– وفي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة)، يريد عينيه.

وعند الترمذي في الحديث: (إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة).

وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : (يقول الله عز وجل: من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة).

– وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : (لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض واحتسبه بثواب دون الجنة).

– وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : (يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة).

– وفي صحيحه أيضاً عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي £ فقالت: يا رسول الله إني أصرع واني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها).

وعند البخاري في رواية عن عطاء «أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة».

وفي الموطأ من حديث عطاء بن يسار أن رسول الله £ قال: (إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظروا ماذا يقول لعواده؟ فإن هو إذ جاءاه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم، فيقول: إن لعبدي عليَّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته).

الصبر في القرآن

قال ابن القيم في عدة الصابرين: قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً.

ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر وهي عدة أنواع:

أحدها: الأمر به كقوله: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ»، «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ»، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

الثاني: النهي عما يضاده كقوله: «وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» وقوله: «وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا» وقوله: «وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» وبالجملة فكل ما نهى عنه فإنه يضاد الصبر المأمور به.

الثالث: تعليق الفلاح به كقوله تعالى:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور:

الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابر على

غيره، كقوله:«إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

قال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قال: كالماء المنهمر.

الخامس: تعليق الإمامة في الدين به وباليقين قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

السادس: ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» قال أبو علي الدقاق: (فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته).

السابع: أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم.

قال تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ».

وقال بعض السلف وقد عُزِّيَ على مصيبة نالته فقال: مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها.

الثامن: أنه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به فقال: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» (البقرة: ٤٥) فمن لا صبر له لا عون له.

التاسع: أنه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى: «بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» ولهذا قال النبي ﷺ: (واعلم أن النصر مع الصبر)

العاشر: أنه سبحانه جعل الصبرَ والتقوى جُنَّةً عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد من ذلك بجنة أعظم منهما قال تعالى: «وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا».

الحادي عشر: أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم كما قال: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».

الثاني عشر: أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب.

الثالث عشر: أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» (هود: ١١).

الرابع عشر: أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور أي مما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلِّها وأشرفها فقال: «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (الشورى: ٤٣).

وقال لقمان لابنه: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

الخامس عشر: أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة الحسنى وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر فقال تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا» (الأعراف: ١٣٧).

السادس عشر: أنه سبحانه علق محبته بالصبر وجعلها لأهله فقال: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» (آل عمران: ١٤٦).

السابع عشر: أنه سبحانه أخبر عن خصال الخير أنه لا يلقاها إلا الصابرون في موضعين من كتابه في سورة القصص في قصة قارون وأن



الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي: «وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ» (القصص: ٨).

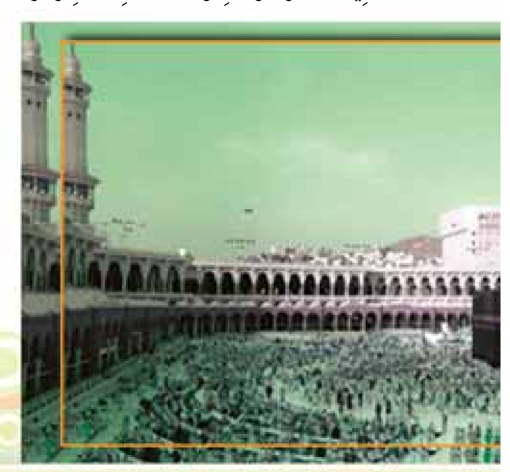
وفي سورة حم السجدة حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب ثم قال: «وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (فصلت: ٣٥).

الثامن عشر: أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور فقال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (سبأ: ١٩).

وقال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (الشورى: ٣٢، ٣٣) فهذه تدل على أن آيات الرب إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر.

التاسع عشر: أنه أثنى على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره فقال: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (سورة ص: ٤٤) فأطلق عليه: نعم العبد بكونه وجده صابراً، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلى فإنه بئس العبد.

العشرون: أنه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى: «وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ



الناس كلهم في هذه الآية لوسعتهم وذلك أن العبد كماله في تكميل قوتيه: قوة العلم وقوة العمل، وهما الإيمان والعمل الصالح، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

الحادي والعشرون: أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهما فقال تعالى: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان والناس بالنسبة إليهما أربعة أقسام: هؤلاء خير الأقسام، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه ويليه من له صبر ولا رحمة عنده، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له.

الثاني والعشرون: أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها فقرنه بالصلاة كقوله: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ» (البقرة: ٤٥) وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً كقوله: «إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (هود: ١١) وجعله قرين التقوى كقوله: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ» (يوسف: ٩) وجعله قرين الشكر كقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (إبراهيم: ٥، لقمان: ٣، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣) وجعله قرين الحق وقرين المرحمة كقوله: «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» (البلد: ١٧) وجعله قرين اليقين كقوله: «لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (السجدة: ٢٤) وجعله قرين الصدق كقوله: «وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ» (الأحزاب: ٣٥) وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه ويكفي بعض ذلك شرفاً وفضلاً والله أعلم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمال وأن يلهمنا الصبر والصدق والإخلاص ويرزقنا الفردوس الأعلى من الجنة.





الاستئذان

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة نبينا محمد بن عبد الله ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في الأعداد السابقة عن بعض آداب الاستئذان التي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها، ونكمل في هذا العدد الحديث عن بقية الأحكام المتعلقة بالاستئذان:

ب- الاستئذان داخل البيوت.

١- بيت المرء نفسه:

المقصود بالبيت هنا هو البيت الذي فيه زوجته وأولاده، وقد تكلمنا عن استئذان الرجل على زوجته.

ونكمل في هذا العدد استئذان الأولاد:

أوجب الإسلام على العبيد، وعلى الأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا الحلم، أي: حد العقل والتمييز؛ أن يستأذنوا في أوقات ثلاثة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ» [النور: ٥٨].

والجمهور على وجوب أمر الصغير المميِّز بالاستئذان قبل الدخول في الأوقات الثلاثة التي هي مظنة كشف العورات، لأن العادة جرت بتخفف الناس فيها من الثياب.

«ليستأذنكم» اللام للأمر، وهي تفيد الوجوب، والخطاب موجه للآباء ؛ لأن لهم السيادة على العبيد والصغار.

«ملكت أيمانكم» أي: العبيد وهو شامل للذكور والإناث بحكم التبع.

«الذين لم يبلغوا الحلم منكم» أي: من الأحرار. روى ابن أبي شيبة بسنده إلى ابن عون عن محمد في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ» قال: كان أهلونا يعلموننا أن نسلم، وكان أحدنا إذا جاء يقول: «السلام عليكم، أيدخل فلان؟».

وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه دون البلوغ يستأذن على رسول الله ﷺ، وكذلك الصحابة مع أبنائهم وغلمانهم رضي الله عنهم.

«قبل صلاة الفجر» لأنه وقت القيام من النوم فتكون عليه ثياب النوم غير ساترة.

قوله: «من الظهيرة» لأنه وقت قيلولة واطمئنان وراحة.

قوله: «بعد صلاة العشاء» لأنه وقت النوم والراحة ونزع الثياب الساترة.

ففي هذه الأوقات يكون صاحب البيت غالبًا غير آخذ حيطته فيها من التكشف، وسميت هذه الأوقات بالعورات ؛ لأن الستر يختل فيها غالبًا.

وسبب نزول الآية بينه الحافظ ابن حجر، قال: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان قال: بلغنا أن رجلاً من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد، صنعا طعامًا، فجعل الناس يدخلون بغير إذن، فقالت أسماء: يا رسول الله، ما أقبح هذا، إنه ليدخل على المرأة وزوجها غلامُهما وهما في ثوب واحد. فنزلت الآية.

وأخرج أبو داود وابن أبي حاتم بسند قوي من حديث ابن عباس أنه سُئل عن الاستئذان في العورات الثلاث، فقال: «إن الله سَتِيرٌ يحب الستر، وكان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم، فربما فاجأ الرجلَ خادمُه أو ولده، وهو على أهله، فأمرُوا

أن يستأذنوا في العورات الثلاث، ثم بسط الله الرزق، فاتخذوا الستور والحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم الله به مما أمروا به. اهـ. [فتح الباري ١١ / ٣١].

عند بلوغ الأطفال:

إذا بلغ الأطفال الحُلم فإنهم يدخلون في حكم الأجانب، أي يتغير حكمهم ووضعهم، ويُفرض عليهم من الاستئذان وقواعده ما يفرض على غيرهم من الأجانب - الذين سبق حكمهم - متى أرادوا دخول بيوت الأجانب عنهم، أو بيوت الأقارب إليهم.

قال تعالى: «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [النور: ٥٩]، وبمثل هذا البيان الشافي والكافي يبين الله لكم الآيات والأحكام والقواعد التي تنفعكم وهو سبحانه عليم بما يناسب مصالحكم من تشريع، حكيم في جميع أموره.

إن هذا الأدب الإسلامي الرفيع يفعله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بما ينشأ عن التفريط فيه من صدمات نفسية، وانحرافات سلوكية، ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا يتنبهون لهذه الأمور، في حين يقرر علماء التربية وعلم النفس أن وقوع عين الطفل على شيء من هذه العورات أو اطلاعه على هاتيك الأحوال، وقد يترتب عليه معاناة نفسية واضطراب سلوكي لا تُحمد عقباه.

قال بعض أهل العلم: ثلاث آيات في القرآن تهاون بها الناس: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» [الحجرات: ١٣]، وقوله: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا» [النساء: ٨]، وقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ» [النور: ٥٨].

إن التفلت والتسيب الذي قد تتسم به بعض البيوت، حيث يحصل تساهل قبيح، بل إفراط مشين، في كشف الأبدان، والأحوال التي سماها القرآن الكريم «عورات» أمام الصغار، بحجة أنهم لا يفهمون أمر يرفضه الشرع ويأباه العقل.

وكم من حادثة مشينة كانت وليدة التقليد والمحاكاة، نتيجة الانحراف عن هذه الآداب الإسلامية السامية.

الاستئذان عند دخول بيوت الأقارب:

الاستئذان قبل الدخول على المحارم:

استئذان الرجل على أمه وأخته:

بيوت الأقارب ينطبق عليها حكم الدخول على بيوت الأجانب ؛ لأن قوله تعالى: «غَيْرَ بُيُوتِكُمْ» يشمل بيوت الأجانب، ويشمل كذلك بيوت الأقارب.

فعلى الرجل أن يستأذن عند دخوله على أمه، فقد يرى منها ما يسؤوه ويسؤوها.

أخرج البخاري في الأدب المفرد من طريق مسلم بن نذير قال: سأل رجل حذيفة قال: أستاذن على أُمي ؟ فقال: إن لم تستاذن عليها رأيت ما تكره.

وعنده أيضًا من طريق علقمة قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود قال: أأستاذن على أمي ؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها.

وروى عطاء بن يسار أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أأستئذن على أمي ؟ قال: «نعم». قال: إني أخدمها ؟ قال: «استأذن عليها». قال: فعاوده ثلاثًا. قال النبي ﷺ : «أتحب أن تراها عريانة؟» قال: لا. قال: «فاستأذن عليها».والحديث مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه.

وكذلك يستأذن الرجل على أخواته، وذلك لما أخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق عطاء قال: سألت ابن عباس فقلت: أستأذن على أختي ؟ فقال: نعم، فأعدتُ، فقلتُ: أختان في حجري، وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما ؟ قال: نعم، أتحب أن تراهما عريانتين، ثم قرأ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» [النور: ٥٨].

وقال: «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» [النور: ٥٩].

وفي رواية أنه قيل للنبي ﷺ : أستأذن على أخواتي وهن في حجري معي في بيت واحد ؟ قال: «نعم»، فرددت عليه ليرخص لي، فأبى. قال: «أتحب أن تراها عريانة؟» قلت: لا. قال: «فاستأذن عليها» فراجعته. فقال: «أتحب أن تطيع الله». قلت: نعم، قال: «استأذن عليها» (راجع أحكام القرآن لابن العربي).

وهذا الاستئذان سواء على الأجانب أو المحارم.. واجب على النساء كذلك إن أردن دخول بيوت الغير.

ومع أدب آخر إن شاء الله، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



يحيى بن زكريا

عليهما السلام

الجزء الثاني

«يا يحيى خذ الكتاب بقوة»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق، وختمهم بمحمد بن عبد الله مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الكرام ما أشرقت شمس أو أضاء كوكب، وبعد:

أخي القارئ الكريم: هذا لقاؤنا الثاني مع يحيى عليه السلام، وقد وقفنا في اللقاء الأول مع الآيات الكريمات التي تحدثت عن فضله ومكانته، وهنا في هذا اللقاء نقف مع بعض الآثار التي تحدثت عن دعوته، ونستعين بالله فنقول:

نشأ يحيى بن زكريا في تقى وورع فشب على ذلك، وكان مثالاً للتقوى والورع والزهد، وقد اشتهر بالعفة والطهارة، وكان كثير العُزْلة عن الناس، يأنس إلى البراري ويأكل ما تيسَّر ويرد ماء الأنهار، ونقل ابن كثير في البداية والنهاية عن خيثمة أنه قال: «كان عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف، وكان يحيى يلبس الوبر، ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم، ولا أمة ولا عبد ولا مأوى يأويان إليه، أينما جنهما الليل أويا، فلما أرادا أن يتفرقا قال له يحيى: أوصني ؟ قال: لا أستطيع إلا أن أغضب قال: لا تَقْتَنِ مالاً، قال: أما هذه فعسى». اهـ. البداية والنهاية (ج٢).

ولعله - عليه السلام - كان سريع الغضب لله، كما سيأتي قريبًا.

قام يحيى - عليه السلام يدعو بني إسرائيل إلى الله، ويبشرهم باقتراب ملكوت السماوات، وكانت دعوته بالحكم والمواعظ الرقيقة، ومع ذلك فقد وجد من بني إسرائيل صدودًا وعنتًا وإعراضًا؛ فهم قوم قساة القلوب غلاظ الطباع، لا يستجيبون بسهولة إلى نصح الناصحين حتى كاد أن يكف عن تعليمهم وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة لولا توفيق الله وتثبيته، وقد كان عيسى عليه السلام رفيق دربه وابن خالته يشاركه آماله وآلامه، ويشد من أزره في تبليغ دعوته كما يتضح من الحديث الآتي:

روى الإمام أحمد والترمذي - رحمهما الله - من حديث الحارث الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن الله - سبحانه وتعالى - أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات؛ أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يبطئ بها، فقال له عيسى عليه السلام: «إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم، فقال يحيى عليه السلام: أخشى إن سبقتني أن يُخْسَفَ بي وأُعَذَّبَ.

فجمع يحيى الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعملهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

١- أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا،

وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال له: هذه داري، وهذا عملي ؛ فاعمل، وأد إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟!

٢- الثانية: وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم ؛ فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

٣- وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرَّةٌ فيها مِسْك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

٤- وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يديه إلى عنقه، وقدموه ؛ ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم.

٥- وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك ؛ كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى».

قال النبيُّ ﷺ : «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر ؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية ؛ فإنه من جثى جهنم». فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام ؟! قال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله».

وإذا نظرنا في الحديث نظرة فيها بعض التأمل نلاحظ ما يلي:

١- اجتماع عيسى مع يحيى وكذلك زكريا (عليهم السلام) في زمان واحد وفي مكان واحد، وهذا دليل على كثرة الأنبياء في بني إسرائيل.

٢- تعاون عيسى ويحيى عليهما السلام في الدعوة إلى الله.

٣- حِرْصُ يحيى عليه السلام على تنفيذ ما أمره الله به وخشيتُه من العقوبة، وفي ذلك دليل على شدَّة ورعه وخوفه من ربه، وقد وردت في ذلك آثارٌ نقلها ابن كثير - رحمه الله - وعزاها إلى أصحابها.

منها ما نقله عن ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال: «فقد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام، فخرج يلتمسه في البرية، فإذا هو قد احتفر قبرًا وأقام فيه يبكي على نفسه. فقال: يا بني، أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت في قبر احتفرته قائم تبكي فيه ؟! فقال: يا أبتِ، ألست أنت أخبرتني أن بين الجنَّة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين، فقال له: ابك يا بني ؛ فبكيا جميعًا». اهـ.

قال ابن كثير: وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد، هذا خوف يحيى وبكاؤه، فماذا لو علمت أنه الذي يأتي يوم القيامة بغير ذنب أتاه من دون العالمين ؟

٤- وإذا تأملت مرَّة أخرى الكلمات التي تكلم بها يحيى وجدتها هي وما جاء به نبينا محمد ﷺ تخرج مِن مشكاة واحدة، ولذا أقرَّها وزاد عليها.

٥- وإذا تأملنا الكلمات التي أوصى بها النبيُّ الأميُّ أمته تجد فيها الفرق الواضح بين بني إسرائيل وبين الأمة التي ختم الله بها الأمم وأكمل لها دينها، ولكي أوضِّح لك مقصدي أقدِّم لك الحديث التالي: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فيكثرون؛ قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: فوا(١) ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم ؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

ومن هنا أوصى النبي ﷺ بالسمع والطاعة وملازمة الجماعة ؛ أي السمع والطاعة لولاة الأمر وعدم الخروج عليهم ولزوم جماعة المسلمين والجهاد تحت راية الإمام الممكن برًا كان أو فاجرًا، ففي ذلك صلاح دنيا الناس، والنصوص في هذا الباب كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ؛ فإن كانت وصايا يحيى عليه السلام تدور في مجملها حول صلاح الدين، فجاءت وصايا نبينا محمد ﷺ تدور في مجملها حول صلاح الدنيا ليجمع الحديث بذلك الخير من أطرافه ويصلح بهذه الوصايا دنيا الناس ودينهم، وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً ببعثة خاتم النبيين وإمام المرسلين.

وإلى لقاء قريب أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم.

هامش:

١- (فوا) أي: وفُّوا بعهد من بايعتموه.

تحذير الصفوة من خطورة الفترة

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: انتهى رمضان شهر العبادة والاجتهاد، وجاء عيد الفطر بالراحة والسكون، وهذه الفترة من أخطر ما يكون، لذلك حذرنا منها النبي ﷺ فقال: «إن لكل شيء شرَّة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل». [أخرجه ابن حبان في صحيحه، وانظر صحيح الجامع الصغير ٢١٥٢].

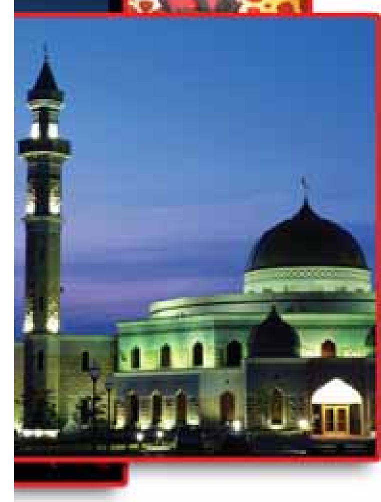
فمن جعل تلك الفترة استعداداً لمواسم أخرى من الطاعة فقد هُدي إلى سنة نبينا، ومن استرخى في تلك الفترة فقد زلت قدمه، لذلك علينا معرفة الأسباب التي تجعل الفتور مذموماً شرعاً، ونعرف كيف نعالجها:

١- الوقوع في المعاصي:

يقع الكثير بمجرد معرفته بانتهاء شهر رمضان في الكثير من المحرمات وينسى أنه كان منذ عهد قريب صائماً لله قائماً، ولا يعلم أن تلك المعاصي حتى الصغائر منها قد يؤدي إلى بعده عن طريق الله، بل قد تؤدي إلى هلكته، لذلك حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من أثر الذنوب على القلوب فقال: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب أو نزع واستغفر، صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله - عز وجل -: «كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [المطففين: ١٤].

وحذرنا كذلك من الاستهانة بها، فقال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهلكنه». [أخرجه أحمد ١ / ٤٠٢].

فعلينا أن نحذر تلك المعاصي والذنوب التي تحول بيننا وبين طاعة ربنا، فإن السلف الصالح كانوا أخوف ما يكون من أثر الذنوب على أعمالهم، فجاء عن سفيان الثوري قال: حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب اقترفته، فكم من ذنوب حرمتنا طاعة ربنا.



٢- التقصير في عمل اليوم والليلة:

وهذا فريق قد لا يؤتى من قِبل المعصية، ولكن من قبل التفريط في الأعمال التي يجب أن يحرص عليها المسلم في يومه وليلته مثل أداء الصلاة المكتوبة في جماعة. والسنن الراتبة والأذكار

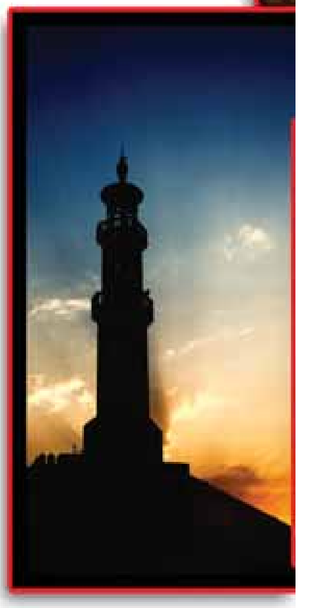
والأدعية المأثورة، وتلاوة ورد من القرآن، وقيام الليل، وغير ذلك، فيتكاسل عنها ثم يتركها شيئًا فشيئًا فيبتعد عن طريق الله وينسى ما كان عليه من اجتهاد في شهر رمضان، وقد يؤدي به الحال إلى ترك الواجبات والفرائض، وقد حذر النبي £ من ذلك الأمر فقال لعبد الله بن عمرو: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه». [متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص].

ولذلك ينبغي للمرء أن يواظب على عمل اليوم والليلة مما ثبت عن النبي £ فيتخير منه ما يطيق ويلتزمه كما سبق في قوله £ : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

٣- الإسراف في المباحات:

إنَّ الله عز وجل قد أحل لنا الطيبات من المأكل والمشرب إلا أن الإسراف في تناولها يكون عثرة في طريق الله ويصيب صاحبه بالفتور والكسل عن العبادة، ولذلك نهانا الله عن الإسراف فيها فقال جل وعلا: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» [الأعراف: ٣١].

وقال £ : «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه». [أخرجه أحمد ٤ / ١٣٢، والترمذي ٢٣٨٠].



وقال £ : «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه». وقال بعض السلف: من أكل كثيرًا نام كثيرًا، فذكر الله قليلاً، ومن أكل قليلاً نام قليلاً فذكر الله كثيرًا.

وقال أبو سليمان الداراني من السلف: «من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق، وثقل العبادة، وزيادة الشهوة، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل».

فعلى المرء أن يقتصد في المأكل والمشرب حتى لا يكون ذلك مدعاة للتكاسل عن العبادة.

٤- عدم الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق:

ذلك أن البعض بمجرد الدخول في طريق الهداية لا يعلمون أن هناك معوقات لا بد لهم من مواجهتها قد تتمثل في زوجة أو ولد أو إقبال شهوة، إلى غير ذلك، قال تعالى: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» [آل عمران: ١٧٩].

٥- الصحبة السيئة:

فإن أهل السوء وأصحاب الهمم الفاترة دائمًا يؤثرون على من حولهم بالسلب ولا يأتي من وراءهم إلا كل شر، وهذا هو السر في تأكيد النبي £ على خطورة الصحبة حين قال £ : «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل». [أخرجه أحمد ٢ / ٣٠٣، وأبو داود ٤٨٣٣، والترمذي ٢٣٧٨].

٦- اعتزال كل الناس:

وقد يتوهم البعض خاصة من كان له أصحاب سوء أن اعتزال الناس بالكلية هو الذي يضمن له السير في طريق الهداية، ولا يعلم أن مفارقة الجماعة لا تأتي بخير، وأن الإنسان سرعان ما ينقلب حاله إذا ما سلك الطريق منفردًا، لذلك حذرنا رسولنا الكريم £ من خطورة الانعزال ومفارقة الجماعة فقال £ : «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة». [الترمذي ٢١٦٥].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الثبات على الحق، «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ».

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



من نور كتاب الله

أخي.. احذر عدوك المتربص لك

يقول الله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٧].

النبي ﷺ مؤيد بالوحي إخباره ﷺ عن صرعى أهل قليب بدر

عن أنس قال: أخذ عمر يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، فجعلوا يُصرعون عليها، قلت والذي بعثك بالحق ما أخطأوا تيك، كانوا يُصرعون عليها، ثم أمر بهم فطرحوا في بئر فانطلق إليهم: يا فلان؛ يا فلان؛ هل وجدتم ما وعدكم الله حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقًا، قلت: يا رسول الله أتكلّم قومًا قد جُيِّفوا ؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا. [سنن النسائي].

من هدي رسول الله ﷺ:

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر». [صحيح مسلم].

من فضائل الصحابة

عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة. [رواه الترمذي].

حكم ومواعظ

عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

عن الفضيل بن عياض قال لرجل: من علم إنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف وأنه مسؤول، فليعد للمسألة جوابًا، فقال له الرجل: فما الحيلة ؟ قال يسيرة، قال: فما هي ؟ قال: تحسن فيما بقي فيغفر لك ما مضى.

من أقوال السلف

عن أيوب السختياني قال: إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي.

عن الحسن قال: المؤمن ينشر حكمة الله، فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله ا.هـ. وموضع الحمد في الرد أنه قد وفق لأداء ما عليه.



إعداد/ علاء خضر

من جوامع الدعاء الدعاء باسم الله الأعظم

عن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً يعني ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال: في دعائه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك.. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. [سنن النسائي].

الولد من كسب أبيه

في الحديث «أطْيَبُ ما يأكلُ الرَّجلُ من كَسْبه، وَوَلَدُه من كَسْبه». إنما جَعل الولد كَسْباً لأنَّ الوالد طَلَبه وسَعى في تَحْصيله.والكَسْب: الطَّلَب، والسَّعْي في طَلَب الرزق والمَعيشة. وأراد بالطَّيِّب هنا الحلال. [النهاية لابن الأثير].

من مخلوقات الله عزوجل

قالوا: العيون التي تضيء بالليل عيود الأُسْد والنمور والأفاعي والسنانير (القطط)، وقالوا: ثلاثة من الحيوان ترجع في قيئها؛ الأسد والكلب والسِّنَّور.

من حكم الشعر

في فضل العلم والعلماء

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلم إنهمُ
على الهُدى لمن استهدى أدلاءُ
وقيمةُ المرءِ ما قد كان يُحسنُهُ
والجاهِلونَ لأهل العلم أعداءُ
فقمْ بعلمٍ ولا تطلبْ به بدلاً
فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلم أحياءُ

أخطاء لغوية

صِحافة: مصدر للفعل: صحف، مثل زِراعة، صِناعة، كِتابة، تِجارة، فالصواب كسر الصاد، والخطأ أن نقول: صَحافة، بفتح الصاد.

هُويَّة: هي أيضا مصدر صناعي من الضمير: هُو، والصواب إبقاء الضمة على الهاء والخطأ أن يقال: هَويَّة.

من الأمثال

«قد بلغ السيل الزُّبى»

يقال لمن تجاوز حدود المعروف والأدب، وأصل الزُّبىَ حُفر تحفر في مرتفعات الأرض لتقع فيها السباع العادِيَة المفترسة فيتم صيدها.



أثر السياق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من المسائل الهامة التي أثيرت بين العلماء، مسألة الأمر، هل يقتضي الفور أم التراخي؟ وقد كان للسياق وقرائنه - اللفظية والحالية - دور فعال في توجيه دلالة الأمر، وهل هي على الفور أم التراخي، كما سنرى.

- اتفق العلماء على أن الأمر إذا صحبته قرينة تدل على الفور، فإنه يحمل على ذلك، كقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [الجمعة: ٩].

فإذا نودي للصلاة يوم الجمعة، فالأمر: اسعوا، ينبغي أن يكون على الفور، لأن الجمعة مقيدة بوقت ضيق لا تتخطَّاه.

وأن الأمر إذا صحبته قرينة تجوِّز التراخي، فإنه يحمل على ذلك، كمثل قضاء رمضان، قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» [البقرة: ١٨٤].

القرينة التي جوزَّت التراخي في القضاء، وهي قرينة لفظية منفصلة، جاءت في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان يكون عليَّ الصوم في رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان. [صحيح البخاري].

ولو كان التأخير محرمًا ما أُقِرَّتْ عليه عائشة رضي الله عنها.

واختلفوا في الأمر المطلق إلى ثلاثة أقوال:

١- أن مطلق الأمر - أي المجرد عن قرينة الفور أو التراخي - هو للفور.

٢- أن مطلق الأمر يكون على التراخي، ولا يثبت للفور إلا بقرينة تدل على ذلك.

٣- أن مطلق الأمر يدل على مطلق الطلب، لا يدل بذاته على الفور أو التراخي، وإنما يستفاد ذلك من القرائن.

- فالصحيح عند الحنفية (كما في الموسوعة الفقهية) أن الأمر لمجرد الطلب، فيجوز التأخير كما يجوز البدار (المسارعة)، وعُزي إلى الشافعي وأصحابه، واختاره الرازي والآمدي.

وفي «شرح الكوكب المنير» قال: وقع تساهل في عبارات بعض علماء الأصول أن الأمر للتراخي، وينسبونه للشافعية، والتحقيق أنهم يقصدون أن التأخير جائز، قال الشيرازي: والتعبير بكونه يفيد التراخي غلط وهذا ما حققه علماء الشافعية. (شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣ / ٤٩).

وذهبت طائفة من أصحاب الشافعي إلى أنه على الوقف، لا يحمل على الفور ولا على التراخي إلا بدليل، ومعنى قولنا على الفور أنه يجب تعجيل الفعل في أول أوقات الإمكان، ومعنى قولنا: على التراخي أنه يجوز تأخيره عنه، وليس معناه أنه يجب تأخيره عنه، حتى لو أتى به فيه لا يعتد به، لأن هذا ليس مذهبًا لأحد. (كشف الأسرار عن أصول البزدوي ١ /٣٧٣).

- وصرَّح الجويني (وهو من الشافعية) فقال: والأوجه أن يعبر: الصيغة تقتضي الامتثال. (البرهان ١ / ٢٢٣).

وقيل: يوجب الفور، وعُزي إلى المالكية، والحنابلة، والكرخي، واختاره السكَّاكي والقاضي. [الموسوعة الفقهية: ٧ / ٣٠٦].

قلت: وكونه دالاً على الفور اختيار ابن قدامة وابن القيم وابن النجار الفتوحي والشنقيطي، واختاره أيضًا ابن حزم ودافع عنه كما في «الإحكام». فقال: وهذا هو الذي لا يجوز غيره (أي الأمر على الفور) لقول الله تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ

في فهم النص

الحلقة التاسعة

إعداد/ متولي البراجيلي

مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» [آل عمران: ١٣٣].

وقوله: «وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا» [البقرة: ١٤٨].

وقد قدمنا أن أوامر الله تعالى على الوجوب، فإذا أمرنا تعالى بالاستباق إلى الخيرات والمسارعة إلى ما يوجب المغفرة، فقد ثبت وجوب البدار إلى ما أمر به ساعة ورود الأمر دون تأخير ولا تردد. (الإحكام لابن حزم ٣ / ٢٩٤).

أدلة القائلين أن الأمر يقتضي الفورية

قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» [الواقعة: ١٠، ١١].

وقد قال ﷺ: «... لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله» (صحيح مسلم).

قوله تعالى في مدح آل زكريا ؛ لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» [الأنبياء: ٩٠].

وقوله تعالى: «فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» [الذاريات: ٥٠].

فالآيات التي تحث على المبادرة كثيرة في كتاب الله تعالى.

ولقد ذم الله تعالى إبليس على عدم المبادرة بالسجود، لما أمر به، بقوله تعالى: «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» [الأعراف: ١٢].

ولو لم يكن الأمر للفور لما استحق إبليس - لعنه الله - الذم.

- ومن الأدلة في السنة: ما جاء في قصة الحديبية، عندما قال النبي ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا».

فإنه لم يقم منهم رجل وتباطئوا وتثاقلوا، ودخل النبي ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها مغضبًا، وأخبرها بما جرى، فقالت له: يا رسول الله، اخرج وادع بالحلاق واحلق، فخرج النبي ﷺ ودعا بالحلاق، فحلق رأسه، فكاد الصحابة يقتل بعضهم بعضًا على حلق رؤوسهم.

فلو لم يكن الأمر للفور، ما غضب رسول الله ﷺ. (حديث الحديبية مشهور وهو في البخاري وغيره).

- والمبادرة بالفعل أحوط: فلن يقول لك الذين يقولون بالتراخي: إنك أخطأت، والعكس إذا تراخيت قال لك الذين يقولون بالفور: أخطأت.

- وأبرأ للذمة: فإذا فعل المأمور برأت ذمته.

- والتأخير آفاته كثيرة، ويؤدي إلى تراكم الواجبات، وربما يعجز الإنسان عن أدائها، لذا لما سُئل الإمام أحمد في الحج، قال: إنه على الفور، والتأخير له آفات.

والإنسان في أموره الدنيوية، إن كان حازمًا فإنه يبادر إلى فعل واجباته، ولا يؤجل، فتثقل عليه، ولا يستطيع أداءها.

أدلة القائلين أن الأمر يقتضي التراخي

قالوا: إن الله أوجب الحج والعمرة في السنة السادسة من الهجرة، ولم يحج النبي ﷺ إلا في السنة العاشرة، وهذا يدل على أن الأمر لا يقتضي الفورية، وإلا لبادر النبي ﷺ إلى الحج.

قالوا: إن الحج فرض بقوله تعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» [البقرة: ١٩٦].

لأن الأمر بإتمام الشيء أمر بالشيء.

وأجيب على هذا بأن الحج لم يفرض بهذه الآية، وإنما فرض بقوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» [آل عمران: ٩٧].

وهذه نزلت في صدر سورة آل عمران، وصدر هذه السورة نزل في عام الوفود (العام التاسع).

- وعلى فرض أن الحج فرض في العام السادس، فإن تأخير الرسول ﷺ ليس من أجل أن الأمر على التراخي، ولكن من أجل موانع، ومن أكبر الموانع أن الرسول ﷺ لما أراد العمرة منعته قريش، فكيف يأتي ليحج ويخالف ما هم عليه في بعض شعائر الحج.

- وخشي النبي ﷺ أن يحج المشركون معه، فأراد أن تكون حجته ﷺ خالصة للمسلمين فقط، لذا فإنه أرسل أبا بكر وعليًا رضي الله عنهما بصدر سورة براءة في العام التاسع، توطئة

لتخلية الحرم من أجل حجه ﷺ في العام العاشر.

- وعلل القائلون بأن الأمر يقتضي التراخي، بأن الإنسان إذا فعل المأمور ولو بعد حين، صدق عليه أنه ممتثل، ليس بعاص، فالعاصي هو الذي لا يفعل المأمور به، أما إذا فعله مع تأخير، فإنه يصدق عليه أنه ممتثل، وهذا هو المطلوب.

- ويجاب عن هذا أن الإنسان إذا أخَّر ما أُمِر به فإنه لم يمتثل تمام الامتثال، بل إنه آثم بهذا التأخير، والعرف يشهد بذلك، فلو قلت لابنك: أحضر لي ماءً، فذهب الولد للعب، ثم بعد ساعة أو ساعتين أتى بالماء، فهل هذا يعد ممتثلاً ويستحق الثناء من الأب، فهذا تأخير بدون قيد يدل عليه، فلا شك أنه ليس مقبولاً لا لغة ولا عرفًا. (شرح الأصول لابن عثيمين بتصرف).

- كما أن وضع اللغة يدل على ذلك، فإن السيد لو أمر عبده فلم يمتثل فعاقبه، لم يكن له أن يعتذر بأن الأمر للتراخي.

- فالراجح أن الأمر يقتضي الفور.

الأثر الفقهي المترتب على الخلاف في مقتضى الأمر:

اختلف الفقهاء بناءً على اختلافهم في مقتضى الأمر المطلق، هل هو على الفور أم التراخي، واختلفوا في وجوب أداء بعض العبادات، هل هي على الفور، أو يجوز تأخيرها إلى وقت يُخشى فواتها بالتأخير، ومن أمثلة ذلك:

الحج

اختلف الفقهاء في وجوب أداء الحج في أول أحوال الإمكان (الاستطاعة)، وجواز التراخي في أدائه، بعد العزم على فعله.

فذهب الحنفية في القول المختار عندهم، والمالكية في الراجح، والحنابلة، إلى أنه يجب أداؤه على الفور، ولا يجوز تأخيره عن أول أوقات الإمكان، وهي السنة الأولى عند استجماع شرائط الوجوب ويأثم المكلف بالتأخير، ويفسق به، وترد شهادته إن تكرر منه.

- وقال الشافعية، ومحمد من الحنفية، وهو رواية عن أبي حنيفة ومالك: إنه يجب وجوبًا موسعًا من حيث الأداء إن عزم على فعله في المستقبل، ولا يجب عليه أداؤه فورًا، إلاَّ في حالات: كأن نذر أن يحج في أول أحوال الإمكان، أو خاف من غصب أو تلف مال أو قضاء عارض.

- يعني من قال: إن الأمر للفور يقول: بأنه إذا كان مستطيعًا فلم يحج أو لم يعتمر، فإنه يعد بذلك عاصيًا، ومن قال إن الأمر للتراخي، قال: له أن يؤخر ذلك سنة، سنتين، ثلاثًا. (الموسوعة الفقهية ٧ / ٣٠٧، ٣٣ / ٢١١، شرح الورقات لصالح آل الشيخ).

الزكاة

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية في المفتى به عندهم، إلى أن أداء الزكاة يجب على الفور، حين التمكن من أدائها، ويأثم المكلف بتأخيرها بعد التمكن، حتى عند الذين يرون أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور ولا التراخي، بل مجرد طلب المأمور به (واستخدموا هنا القرائن السياقية)، لأن الأمر بالصرف إلى الفقير معه قرينة إرادة الفور منه، ولأنه حق لزم المزكي وقدر على أدائه، ودلت القرينة على طلبه، وهي حاجة الأصناف الثمانية، وهي معجلة، فمتى لم تجب على الفور لم يحصل المقصود من الإيجاب على الوجه المطلوب.

- والقول الثاني عند الحنفية وعليه عامة علمائهم أنها على التراخي وأن افتراضها عمري، لما قلنا أن مطلق الأمر لا يقتضي الفور، فيجوز للمطلق تأخيره، وهو قول عند الحنابلة (الموسوعة الفقهية). والمقصود بالافتراض العمري أي على التراخي ففي أي وقت أدى يكون مؤديًا للواجب، ويتعين ذلك الوقت للوجوب، وإذا لم يؤد إلى آخر عمره يتضيق عليه الوجوب حتى لو لم يؤد يأثم إذا مات.

- قلت: والقول الأول يرجح ما ملنا إليه من أن الأوامر مقتضاها الفورية، فالتراخي في إخراج الزكاة يضيع الغاية منها، وهي مواساة المحتاجين.



وجوب الصلوات المفروضة بدخول الوقت

أجمع المسلمون على أن الصلوات الخمس مؤقتة بمواقيت معلومة

«إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» لا تصح قبلها، ويفوت أداؤها بخروجها، ثم اختلف الفقهاء في وجوبها أول أوقاتها في حق من هو من أهل الوجوب عند دخول الوقت، فذهب جمهور الفقهاء إلى أنها تجب في أول الوقت على من هو من أهل الوجوب وجوبًا موسعًا، بشرط أن يعزم في أول الوقت على فعلها فيه، أي أن للمكلف أن يؤخرها إلى أن يبقى من الوقت ما يتسع لأدائها فقط، فيجب حينئذ أداؤها فورًا ويأثم بتأخيرها، ولا يأثم ما بقي من الوقت ما يسعها وإن مات فيه، أي يؤخرها مع العزم على فعلها. (الموسوعة الفقهية).

قلت: إذا كان ما عليه جمهور الفقهاء من أن الصلاة تجب وجوبًا موسعًا - يعني من أول وقتها إلى ما قبل آخر وقتها - بشرط العزم في أول الوقت على أدائها، فما هي القرينة الصارفة لأمره تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» من الفور إلى التراخي الضيق الذي ينتهي قبل دخول وقت الصلاة التالية؟

القرينة هي حديث النبي ﷺ، الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفرًا غير مشرق، ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم، وصلاتك بالأمس.

(سيرة ابن هشام ح٢٤٢، والحديث بنحوه في صحيح سنن أبي داود والترمذي).

- وهذا ليس معناه تأخير الصلاة عن أول وقتها، فإن هذا يفوّت على العبد منافع كثيرة، يكفي أن النبي ﷺ لما سُئل عن أفضل الأعمال، قال: «الصلاة لأول وقتها» (صحيح سنن أبي داود).

وأمر الأعمى إذا سمع النداء (الآذان) أن يلبي، وسنة النبي ﷺ العملية، فضلاً عن القولية تحث على الصلاة لأول وقتها مع الجماعة الأولى.

فالتراخي عن التلبية عند الأذان، ليس من شريعة محمد ﷺ، وليس من صفات عباد الله المتقين، الذين وصفهم الله تعالى بالحفاظ على الصلاة، «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» [المعارج: ٣٤]. أي: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها. (تفسير ابن كثير: ٨ / ٢٢٧).

قضاء الصوم على الفور

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن قضاء رمضان يكون على التراخي، وقيدوه بما إذا لم يفت وقت قضائه، بأن يهل رمضان آخر.

وقال الشافعية: يجب قضاء الصوم على الفور، في أربعة مواضع: يوم الشك إن بان أنه من رمضان (يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شعبان)، والمتعدي بالفطر، والمرتد بعد رجوعه إلى الإسلام، وتارك النية ليلاً عمدًا. (الموسوعة الفقهية).

- وقال ابن حزم عن صيام المريض والمسافر لأيام رمضان أنه يقضي على الفور في أول أوقات القدرة. فقال: «... فذلك لازم في أول أوقات القدرة عليه، فإن بادر إليه فقد أدى ما عليه، وإن أخره بغير عذر كان عاصيًا بالتأخير، وكان الأمر عليه ثابتًا أبدًا» (الإحكام ٣ / ٢٩٤ وما بعدها).

النذر

في حديث النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» (صحيح البخاري).

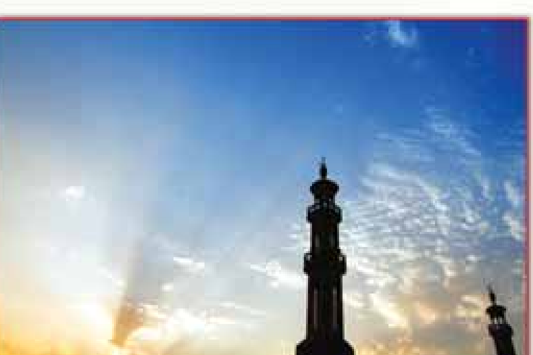
والوفاء بالنذر واجب، فمن قال بالفورية (وهو الراجح) قال: يجب أن يوفي النذر، فور تمكنه من الوفاء به، ويأثم إن لم يفعل، وعلى القول بالتراخي يقال يبقى في ذمته.

- وكما أن الخلاف بين الفقهاء في مقتضى الأمر تظهر ثمرته في العبادات، كذلك تظهر في غير العبادات.

ومن أمثلة ذلك

الرد بخيار العيب:

- وخيار العيب يكون إن ظهر في السلعة عيب ينقص قيمة المبيع، أخفاه البائع بعلم أو بدون علم، ولكن تم



العقد على عدم وجود هذا العيب، فله الحق في خيار العيب بفسخ العقد أو أخذ التعويض (وهو الفارق بين الصحة والعيب).

- فذهب الحنفية في المعتمد والحنابلة في الصحيح من المذهب إلى أن الرد بخيار العيب على التراخي، وذهب المالكية إلى أنه على التراخي إلى يوم أو يومين.

وذهب الشافعية، وهو رواية عن أحمد، إلى أن الرد بالعيب على الفور، بأن يرد المشتري المبيع، حال اطلاعه على العيب. (الموسوعة الفقهية).

فورية القبول عقب الإيجاب في العقود

البيع يكون بين طرفين، البائع والمشتري، ويكون في مكان للتعاقد بينهما، وهو ما يسمى: مجلس البيع.

في حديث النبي ﷺ: إذا تبايع الرجلان، فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعًا، أو تخير أحدهما الآخر، فإن خير أحدهما الآخر، فتبايعا على ذلك، فقد وجب البيع، وإن تفرقا بعد أن تبايعا، ولم يترك أحدهما البيع، فقد وجب البيع. (متفق عليه).

فالحديث يبين أن لكل من المتبايعين حق الخيار طالما أنهما في مجلس العقد، وينعقد البيع بالإيجاب والقبول بين الطرفين، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى جواز تأخير القبول عن الإيجاب في العقود مدة المجلس، فإذا انقطع المجلس بتشاغل أو غيره سقط الإيجاب ولم يلحق به قبول، وذهب الشافعية إلى وجوب الفورية بين الإيجاب والقبول.

الفور في الفسخ بعيب في أحد الزوجين

إن ثبت أن بأحد الزوجين عيبًا ينفر الآخر منه، فله حق فسخ العقد، وقد حدَّد أهل العلم العيوب التي تقتضي الفسخ بين الزوجين، واختلفوا فيها، ومنهم من رجَّح الفسخ بكل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح، وهذا رجحه ابن تيمية وابن القيم. (زاد المعاد: ٥ / ١٨٣، وابن عثيمين في الشرح الممتع ٥ / ٢٧٤).

فعند الحنفية والمالكية والحنابلة (الفسخ بعيب في أحد الزوجين) على التراخي، لا يسقط ما لم يوجد من طالب الفسخ منهما ما يدل على الرضا به (بالعيب) من القول، والاستمتاع من الزوج أو التمكين من المرأة.

وقال الشافعية: خيار الفسخ للنكاح بعيب في أحد الزوجين على الفور بعد ثبوته، لأنه خيار عيب شُرِّع لدفع الضرر فكان على الفور. (الموسوعة الفقهية ٧ / ٣٠٦ وبعدها، ٣٣ / ٢١١).

إذا كان الأمر على التراخي، فإلى متى؟

نحن رجحنا الرأي القائل بأن الأمر على الفور، لكن يُثار سؤال هام، وهو إذا كان يجوز للمكلف التأخير بناءً على أن الأمر على التراخي، فإلى متى يكون هذا التأخير ؟ إلى ما قبل موته، هو سيقول هذا، لكن من يدريه متى سيموت ؟

وإن مات هل يُعد عاصيًا لعدم مجيئه بالأمر؟

يقول الجويني في «الورقات»: من بادر في أول الوقت كان ممتثلاً قطعًا فإن أخر وأوقع الفعل المقتضي في آخر الوقت، فلا يقطع بخروجه عن عهدة الخطاب. (١ / ١٦٩).

لكن يبقى السؤال ماذا لو أخر ولم يتمكن من الفعل، ومات، هل يعد عاصيًا أم لا، على اعتبار أنه أخذ بالجائز بالنسبة إليه وهو التراخي ؟

قال عبد العزيز البخاري في «كشف الأسرار عن أصول البزدوي»: اختلف الأصوليون فيه، فمنهم من قال إذا مات بعد تمكنه من الأداء يموت عاصيًا، لأن التأخير إنما أبيح له بشرط أن لا يكون تفويتًا...

ومنهم من قال لا يموت عاصيًا. (١ / ٣٧٥).

وقال النووي: فيه أوجه... والأصح العصيان. (المجموع ٧ / ٩٠).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي: عبد الهادي الجوهري، المحاسب القانون، والد الأستاذ/ محسن عبد الهادي الجوهري، المحاسب القانوني ومراقب حسابات الجمعية، ومجلس الإدارة وأسرة تحرير المجلة تدعوا الله عز وجل له بالرحمة والمغفرة.



صفات التاجر المسلم

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً،أما بعد:فإن هناك صفات ينبغي أن يتحلى ويتصف بها كل تاجر مسلم، أحببت أن أُذكر بها نفسي وإخواني القراء الكرام.

أقول وبالله تعالى التوفيق:

١- صحة الاعتقاد:

يجب على كل تاجر مسلم أن يؤمن بأن شهادة أنْ لا إله إلا الله تعني أنه لا معبود بحق إلا الله , وأن شهادة أن محمداً رسول الله تعني أنه لا متبوع بحق إلا النبي ﷺ ,وأن يعلم أن الغاية من خلق الناس هي عبادة الله وحده.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦).

وعليه أن يخلص أعماله في تجارته لله تعالى وحده وأن يتجنب الشرك والرياء لأن ذلك محبط للأعمال الصالحة.

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الزمر:٦٥: ٦٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ. (مسلم حديث ٢٩٨٥).

٢- حُسنُ التوكل على الله:

على التاجر المسلم أن يتوكل على الله ويأخذ بأسباب الرزق الحلال له ولمن يعولهم.

قال الله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) (الفرقان:٥٨).

وقال سبحانه (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني حديث ١٩١١)

٣- الإكثار من الدعاء:

الدعاء سلوى المحزونين، ونجوى المتقين،ودأب الصالحين، فإذا صدر عن قلب سليم، ونفس صافية،وجوارح خاشعة،وَجَدَ إجابة كريمة من رب رحيم. فاحرص أخي التاجر الكريم، على الدعاء في جميع الأوقات وخاصة الأوقات الفاضلة.

لقد حثنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم وكذلك نبيه ﷺ في سنته المطهرة، على الإكثار من الدعاء.

قال الله تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦).

وقال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠).

عَنْ سَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ

يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا». (أخرجه أبو داود وصححه الألباني حديث ١٣٢٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ :«ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني حديث ٢٧٦٦).

٤- المحافظة على إقامة الصلوات المفروضة جماعة في المساجد:

إن إقامة الصلوات المفروضة جماعة في المساجد واجب على كل مسلم ذكر،بالغ،عاقل،قادر على الذهاب إلى المساجد،ولو بمساعدة الآخرين له،ولا يجوز التخلف عنها إلا لعذر. إن الله تعالى قد أمر نبينا £ أن يصلي بأصحابه جماعة وهم في المعركة.

فقال سبحانه:«وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» (النساء:١٠٢).

إذا كان الله تعالى قد أوجب صلاة الجماعة في حال المعركة،فإن وجوبها في حال الأمن من باب أولى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ». (البخاري: حديث ٦٤٤، ومسلم حديث: ٦٥١).

مرماتين حسنتين: وهما ما بين أظلاف الشاة أو ما بين أضلاعها، يعني شيء زهيد من اللحم.

قال ابن حجر العسقلاني: وَأَمَّا حَدِيثُ الْبَابِ فَظَاهِرٌ فِي كَوْنِهَا فَرْضَ عَيْنٍ، لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ سُنَّةً لَمْ يُهَدِّدْ تَارِكَهَا بِالتَّحْرِيقِ. (فتح الباري جـ٢صـ ١٤٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ £ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ £ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ:«هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَجِبْ». (مسلم حديث ٦٥٣).

قال ابن قدامة: وَإِذَا لَمْ يُرَخِّصْ لِلْأَعْمَى الَّذِي لَمْ يَجِدْ قَائِدًا لَهُ، فَغَيْرُهُ أَوْلَى. (المغني جـ ٣ صـ ٤٠٦).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ £ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ. (مسلم حديث ٦٥٤).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ £ قَالَ: مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلا صَلَاةَ لَهُ إِلا مِنْ عُذْرٍ. (أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني حديث ٦٤٥).

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-: (لا أرخص لمن قدر على صلاة الجماعة في ترك إتيانها إلا من عذر) (الأم جـ ١ صـ ١٥٤).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله) عند كلامه على صلاة الخوف. (سورة النساء الآية:١٠٢): (وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك.) (تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٥٠).

ما أجمل أن نرى بعض المحلات قد أغلقها أصحابها وذهبوا لأداء الصلاة المفروضة، وقد تركوا على محلاتهم لوحة مكتوبًا عليها: (مُغلقٌ للصلاة).

إن قول المؤذن عند النداء للصلاة المفروضة(الله أكبر،الله أكبر) تعني:أن الله تعالى أكبر من التجارة والمال والأهل والولد، ومن كل شيء.

٥- الإيمان بأن الله تعالى ضمن الأرزاق لجميع المخلوقات:

قال الله تعالى (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ. فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذاريات: ٢٢: ٢٣).

وقال سبحانه: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود: ٦).

عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أن النبي £ قال: «إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعبَ رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلا بطاعته». (صحيح الجامع حديث:٢٠٨٥).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي £ قال:«إن الرزق ليطلبُ العبدَ أكثرَ مما يطلبه أجله». (صحيح الجامع للألباني حديث ١٦٣٠).

٦- التفقه في الدين ومعرفة أحكام التجارة:

يجب على التاجر أن يعرف الأحكام الشرعية الخاصة بالتجارة التي يمارسها وذلك بسؤال أهل العلم، حتى يتجنب الشبهات والوقوع في الحرام، واعلم أخي الكريم أن طلب العلوم الشرعية يرفع منزلتك عند الله تعالى وعند الناس.

قال الله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: ١١).

وعن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رَسُولَ اللَّهِ £ :«مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». (البخاري حديث ٧١ / مسلم حديث ١٠٣٧).

٧- حُسنُ اختيار التاجر لمعاونيه:

يجب على التاجر المسلم أن يحسن اختيار من يساعده بحيث يكون من أهل العقيدة الصحيحة ومن أهل الصلاة والصدق والأمانة لأن الإنسان عادة يتأثر بمن يلازمه.

عَنْ أَبِي سَعِيد الخدري رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ £ يَقُولُ: «لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا،ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني حديث ١٩٥٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ £ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». (أخرجه أبو داود وصححه الألباني حديث ٤٠٤٦).

٨- استخارة الله تعالى وشومشاورة أهل الخبرة الصالحين:

ينبغي للتاجر المسلم أن يعتاد على استخارة الله تعالى في أموره الهامة، وأن يستشير أهل الخبرة من الصالحين في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، وكان النبي £ يعلم أصحابه الاستخارة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ £ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، يَقُولُ:«إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِه فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِه ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِه، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ. (البخاري حديث ٦٣٨٢).

٩- الاستيقاظ مبكراً لطلب الرزق:

ما أجمل أن يستيقظ المسلم مبكراً لطلب الرزق الحلال، متبعاً في ذلك سنة نبينا محمد £ .

عن صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ رضي الله عنه أن النبي £ قَالَ:«اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»، قَالَ: وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ رجلاً تَاجِرًا، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. (أخرجه الترمذي وصححه الألباني حديث ٩٦٨).

١٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة:

على التاجر المسلم أن يكون في تجارته من الدعاة المخلصين إلى الله تعالى، فيحث الناس على الخير ويمنعهم ويحذرهم من الشر قدر استطاعته بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (آل عمران: ١١٠).

وقال سبحانه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل: ١٢٥).

وعن أبي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ £ قال:«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». (مسلم حديث ٤٩).

١١- الابتعاد عن الشبهات:

يجب على التاجر المسلم أن يسأل أهل العلم عما يجهله من أمور الحلال والحرام وأن يتجنب الوقوع في شبهات البيع والشراء.

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ:«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ. (البخاري حديث ٥٢ / مسلم حديث ١٥٩٩).

١٢- الإكثار من ذكر الله تعالى في جميع الأحوال:

ينبغي للتاجر المسلم أن يكون لسانه رطباً بذكر الله تعالى في كل وقت فيحرص على أذكار ختام الصلاة، والصباح والمساء وأذكار السفر وغيرها من الأذكار الثابتة من سنة نبينا محمد £ وليعلم كل تاجر مسلم أن هذه الأذكار المشروعة هي السبيل لمرضاة الله تعالى واطمئنان قلب العبد المسلم.

قال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:٢٨).

وقال جل شأنه: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) (الأعراف:٢٠٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ £ :«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». (البخاري حديث ٧٤٠٥ / مسلم حديث ٢٠٦٧).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ :«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». (البخاري حديث ٦٤٠٦ / مسلم حديث ٢٠٧٢).

وعنه أيضًا رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ:«مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (البخاري حديث ٦٤٠٥ / مسلم حديث ٢٦٩١).

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله £ ، فقال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ». (مسلم حديث ٢٦٩٨).

١٣- الالتزام بالصدق والأمانة في جميع المعاملات:

إن الصدق مع الله ومع الناس وأداء الأمانة لأهلها هما شعار التاجر المسلم.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة:١١٩).

وقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨).

وعن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ £ قَالَ:«الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». البخاري ح٢٠٧٩.

١٤- اجتناب الحلف بالله تعالى عند البيع والشراء:

ينبغي للتاجر المسلم أن يتجنب الحلف ولو كان صادقاً، لأن النبي £ قد نهانا عن الحلف في البيع والشراء.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ £ يَقُولُ:«الْحَلِفُ مُنْفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ». (مسلم حديث ١٦٠٦).

وليحذر كل تاجر أن يشترى بأيمان الله مالاً حراماً.

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران:٧٧).

١٥- الإنفاق في سبيل الله تعالى:

اعلم أخي التاجر الكريم أن الإنفاق في سبيل الله تعالى هو التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة، فاحرص على الإنفاق من مالك قدر استطاعتك، في وجوه الخير وهي كثيرة مثل بناء المساجد وعمارتها، ونشر كتب العلم النافع، ومساعدة الفقراء، وكفالة الأيتام المحتاجين، وتفطير الصائمين في رمضان، وغير ذلك من أبواب الخير.

واعلم أخي الكريم أن الصدقات تزيد الحسنات، و تزيد في المال. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ× لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر: ٢٩، ٣٠).

وقال جل شأنه: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٦١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ £ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ». (مسلم حديث ٢٥٨٨).

واحذر أخي التاجر الكريم من وسوسة الشيطان، فإنه سوف يوسوس لك قائلاً: لا تنفق من مالك، وأمسكه عليك، فإنك محتاج إليه لتربية أولادك ولأمور كثيرة !.

وصدق الله تعالى حيث قال: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). (البقرة:٢٦٨).

١٦- السماحة والرفق عند البيع والشراء:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ:«رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى». (البخاري حديث ٢٠٧٦).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ £ أنه قَالَ:«إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ». (مسلم حديث ٢٥٩٤).

١٧- الصبر على المعسرين والتجاوز عنهم:

من الأخلاق الحميدة للتاجر المسلم أن يصبر على المعسرين.

قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) (البقرة: ٢٨٠).

وليعلم كل تاجر أن الصبر على المعسرين له فضل عظيم عند الله يوم القيامة.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ £ قَالَ:«كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ». (البخاري حديث ٢٠٧٨ / مسلم حديث ١٥٦٢).

١٨- كتابة الوصية الشرعية:

إن الإنسان لا يدري متى وأين وكيف ينتهي أجله، ولذا ينبغي للتاجر أن يكتب وصيته؛ فيكتب ما له وما عليه، حتى إذا ما جاءه الموت بغتة، لا تضيع حقوق الناس عنده ولا حقوق ورثته عند الناس.

قال الله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان:٣٤).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ:«مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». (البخاري حديث ٢٧٣٨ / مسلم حديث ١٦٢٧).

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم،وأن ينفع به المسلمين. آمين.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن الشباب محله دائما مفترق الطرق، فإما أن يوفق فيختار الطريق المستقيم وإما أن تنحرف به السبل وتزيغ به الأهواء، وتزل به القدم فيهوي في أودية الانحراف، وأسباب انحراف الشباب ومشاكله كثيرة متنوعة، وذلك أن الإنسان في مرحلة الشباب يكون على جانب كبير من التطور الجسمي والفكري والعقلي، لأنها مرحلة النمو فيحصل له تطورات سريعة في التحول والتقلب، فمن ثم كان من الضروري في هذه المرحلة أن تهيأ له أسباب ضبط النفس وكبح جماحها والقيادة الحكيمة التي توجهه إلى الصراط المستقيم.

أهم أسباب الانحراف، وكيف عالجها الإسلام

١- الفراغ :

إنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدَهْ

دخل الحسن المسجد ومعه فرقد فقعد إلى جنب حلقة يتكلمون فصنت لحديثهم ثم أقبل على فرقد فقال: يا فرقد ؛ والله ما هؤلاء إلا قوم ملوا العبادة ووجدوا الكلام أهون عليهم وقل ورعهم فتكلموا.

فالفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية،ومجلبة للخوض فيما يضر ولا ينفع، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن الكبت الذي أصابه من الفراغ. وعلاج هذه المشكلة: أن يسعى الشاب في تحصيل عمل يناسبه من قراءة أو تجارة أو كتابة أو غيرها مما يحول بينه وبين هذا الفراغ، وبجانب ذلك كله يكون مصاحبا للأخيار، ليكون عضواً سليماً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره.

٢- الهجر والجفاء والبعد بين الشباب وكبار السن من أهليهم ومن غيرهم:

فترى بعض الكبار يشاهدون الانحراف من

شبابهم أو غيرهم فيقفون حيارى عاجزين عن تقويمهم آيسين من صلاحهم، فينتج من ذلك بغض هؤلاء الشباب والنفور منهم وعدم المبالاة بأي حال من أحوالهم صلحوا أم فسدوا، وربما حكموا بذلك على جميع الشباب وصار لديهم عقدة نفسية على كل شاب، فيتفكك بذلك المجتمع وينظر كل من الشباب والكبار إلى صاحبه نظرة الازدراء والاحتقار وهذا من أكبر الأخطار التي تحدق بالمجتمعات.

وعلاج هذه المشكلة: أن يحاول كل من الشباب والكبار إزالة هذه الجفوة والتباعد بينهم، وأن يعتقد الجميع بأن المجتمع بشبابه وكباره كالجسد الواحد إذا فسد منه عضو أدى ذلك إلى فساد الكل.

كما أن على الكبار أن يشعروا بالمسئولية الملقاة على عواتقهم نحو شبابهم، وأن يستبعدوا اليأس الجاثم على نفوسهم من صلاح الشباب فإن الله قادر على كل شيء، فكم من ضال هداه الله فكان مشعل هداية وداعية إصلاح.

وعلى الشباب أن يضمروا لكبارهم الإكرام واحترام الآراء وقبول التوجيه لأنهم أدركوا من التجارب وواقع الحياة ما لم يدركه هؤلاء، فإذا التقت حكمة الكبار بقوة الشباب نال المجتمع سعادته بإذن الله.

وهذا الذي كان يفعله رسول الله ﷺ ونقله عنه خادمه أنس رضي الله عنه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: [إن] كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عُمير! ما فعلَ النُّغير». صحيح الأدب المفرد.

قال أبو عيسى: وفقه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح. وفيه أنه كنَّى غلامًا صغيرًا فقال له: يا أبا عمير. وفيه أنه لا بأس أن يعطَى الصبي الطير ليلعب به وإنما قال له النبي ﷺ : (يا أبا عمير ما فعل النغير ؟) لأنه كان له نغير يلعب به فمات فحزن الغلام عليه فمازحه النبي ﷺ فقال: (يا أبا عمير: ما فعل النغير ؟). مختصر الشمائل ١ / ١٢٥.

٣-الرفقة السيئة والصحبة الرديئة، والاتصال بقوم منحرفين ومصاحبتهم: وهذا يؤثر كثيراً على الشباب في عقله وتفكيره وسلوكه، ولذلك روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». (حسن) انظر السلسلة الصحيحة للألباني ح٩٢٧.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال ﷺ :«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة».

(صحيح) انظر حديث رقم: ٢٣٦٨ في صحيح الجامع.

وقد حذر الإسلام من هذه الصحبة السيئة تحذيرًا شديدًا فقال تعالى:«وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً × يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً × لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً».

وعلاج ذلك: أن يختار الشاب لصحبته من كان ذا خير وصلاح وعقل، من أجل أن يكتسب من خيره وصلاحه وعقله، فيزن الناس قبل مصاحبتهم بالبحث عن أحوالهم وسمعتهم، فإن كانوا ذوي خلق فاضل ودين مستقيم وسمعة طيبة فهم ضالته المنشودة وغنيمته المحرزة، فليستمسك بهم وإلا فالواجب الحذر منهم والبعد عنهم وأن لا يغتر بمعسول القول وحسن المظهر، فإن ذلك خداع وتضليل يسلكه أصحاب الشر ليجذبوا بسطاء الناس لعلهم يكثرون سوادهم ويغطون بذلك ما فسد من أحوالهم.

٤- قراءة بعض الكتب الهدامة من رسائل وصحف ومجلات وغيرها: مما يشكك المرء في دينه وعقيدته، ويجره إلى هاوية التفسخ من الأخلاق الفاضلة فيقع في الكفر والرذيلة إذا لم يكن عند الشباب منعة قوية من الثقافة الدينية العميقة والفكر الثاقب كي يتمكن بذلك من التفريق بين الحق والباطل وبين النافع والضار.

فقراءة مثل هذه الكتب تقلب الشباب رأساً على عقب، لأنها تصادف أرضاً خصبة في عقلية الشاب وتفكيره بدون مانع فتقوى عروقها ويصلب عودها وتنعكس في مرآة عقله وحياته.

وعلاج هذه المشكلة: أن يبتعد الشباب عن قراءة هذه الكتب إلى قراءة كتب أخرى تغرس في قلبه محبة الله ورسوله، وتحقيق الإيمان والعمل الصالح، وليصبر على ذلك ؛ فإن النفس سوف تغالبه أشد المغالبة على قراءة ما كان يألفه من قبل، وتملله وتضجره من قراءة الكتب الأخرى النافعة، بمنزلة من يصارع نفسه على أن تقوم بطاعة الله فتأبى إلا أن يشتغل باللهو والزور.

وأهم الكتب النافعة كتاب الله، وما كان عليه أهل العلم من التفسير بالمأثور الصحيح والمعقول الصريح، وكذلك سنة رسول الله ﷺ ، ثم ما كتبه أهل العلم استنباطاً من هذين المصدرين أو تفقهاً.

٥ - ظن بعض الشباب أن الإسلام تقييد للحريات وكبت للطاقات: فينفر من الإسلام ويعتقده ديناً رجعياً يأخذ بيد أهله إلى الوراء ويحول بينهم

وبين التقدم والرقي.وهذه أفكار وافدة من الغرب حاول أن يغرسها في نفوس المبتعثين إليه من ديار الإسلام، وقد نال في ذلك بعض ما يريد، فرجع هؤلاء إلى بلادهم بردة فكرية ليروجوا أفكار الغربيين التي أُشربوها.

وعلاج هذه المشكلة: أن يُكشف النقاب عن حقيقة الإسلام لهؤلاء الشباب الذين جهلوا حقيقته لسوء تصورهم أو قصور علمهم أو كليهما معاً.

ومن يك ذا فم مـــر مـــريض
يـــجـــد مـــراً به المـــاء الـــزلالا

فالإسلام ليس تقييداً للحريات، ولكنه تنظيم لها وتوجيه سليم حتى لا تصطدم حرية شخص بحرية آخرين عندما يعطى الحرية بلا حدود، لأنه ما من شخص يريد الحرية المطلقة بلا حدود إلا كانت حريته هذه على حساب حريات الآخرين، فتنتشر الفوضى ويحل الفساد.

ولذلك سمى الله تعالى الأحكام الدينية حدوداً، فإذا كان الحكم تحريماً قال: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا». (البقرة: الآية١٨٧). وإن كان إيجاباً قال: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا». (البقرة: الآية٢٢٩).

وهناك فرق بين التقييد الذي ظنه هذا البعض وبين التوجيه والتنظيم الذي شرعه لعباده الحكيم الخبير.

وعلى هذا فهذه المشكلة مشكلة مفتراة من أصلها، إذ التنظيم أمر واقعي في جميع المجالات في هذا الكون، والإنسان بطبيعته خاضع لهذا التنظيم الواقعي.

فهو خاضع لسلطان الجوع والعطش ولنظام الأكل والشرب، ولذلك يضطر إلى تنظيم أكله وشربه كمية وكيفية ونوعاً كي يحافظ على صحة بدنه وسلامته.

وهو خاضع كذلك لنظامه الاجتماعي، متمسك بعادة بلده في مسكنه ولباسه وذهابه ومجيئه، فيخضع مثلاً لشكل اللباس ونوعه ولشكل البيت ونوعه، ولنظام السير والمرور، وإن لم يخضع لهذا عد شاذاً يستحق ما يستحقه أهل الشذوذ والبعد عن المألوف.

إذن فالحياة كلها خضوع لحدود معينة كي تسير الأمور على الغرض المقصود، وإذا كان الخضوع للنظم الاجتماعية مثلاً خضوعاً لا بد منه لصلاح المجتمع ومنع الفوضى، ولا يتبرم منه أي مواطن فالخضوع كذلك للنظم الشرعية أمر لابد منه لصلاح الأمة، فكيف يتبرم منه البعض ويرى أنه تقييد للحريات ؟ ! إن هذا إلا إفك مبين وظن باطل أثيم.

والإسلام كذلك ليس كبتاً للطاقات، وإنما هو ميدان فسيح للطاقات كلها الفكرية والعقلية والجسمية. فهو يدعو إلى التفكير والنظر لكي يعتبر الإنسان وينمي عقله وفكره، فيقول الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا». (سبأ: الآية٤٦) ويقول تعالى:«قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ». (يونس: الآية١٠١).

والإسلام لا يقتصر على الدعوة إلى التفكير والنظر، بل يعيب كذلك على الذين لا يعقلون ولا ينظرون ولا يتفكرون.

فيقول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» (الأعراف: الآية١٨٥).

ويقول تعالى: «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ» (الروم: الآية٨).

ويقول تعالى: «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ» (يس:٦٨).

والأمر بالنظر والتفكير ما هو إلا تفتيح للطاقات العقلية والفكرية، فكيف يقول البعض: إنه كبت للطاقات. «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِباً» (الكهف: الآية٥).

والإسلام قد أباح لأبنائه جميع الأمور التي لا ضرر فيها على المرء في بدنه أو دينه أو عقله..

فأباح الأكل والشرب من جميع الطيبات:

قال تعالى:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ» (البقرة: الآية١٧٢).

وقال:«وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: الآية٣١).

وأباح جميع الألبسة على وفق ما تقتضيه الحكمة والفطرة. فقال تعالى:«يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ» (الأعراف: الآية٢٦).

وقال تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (الأعراف: الآية٣٢).

وأباح التمتع بالنساء بالنكاح الشرعي. فقال تعالى:«وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» (النساء: الآية٣).

وفي مجال التكسب لم يكبت الإسلام طاقات أبنائه، بل أحل لهم جميع المكاسب العادلة الصادرة عن رضا، يقول الله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبا» (البقرة: الآية٢٧٥).

ويقول: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (الملك:١٥). ويقول:«فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» (الجمعة: الآية١٠).

فهل بعد ذلك يصح ظن البعض أو قوله بأن الإسلام كبت للطاقات ؟ !

مشاكل شبابية وحلولها

١- الوسواس القهري

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :«لقلب ابن آدم أشد انقلابًا من القدر إذا استجمعت غليانًا» (أخرجه أحمد والحاكم وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥١٤٧ في صحيح الجامع).

والقلب الميت لا ترد عليه الهواجس والوساوس المنافية للدين، لأنه قلب ميت هالك لا يريد الشيطان منه أكثر مما هو عليه.

أما إذا كان القلب حياً وفيه شيء من الإيمان فإن الشيطان يهاجمه مهاجمة لا هوادة فيها ولا ركود، فيقذف عليه الوساوس المناقضة لدينه ما هو من أعظم المهلكات لو استسلم له العبد. حتى إنه يحاول أن يشككه في ربه وفي دينه وعقيدته، فإن وجد في القلب ضعفاً وانهزاماً استولى عليه حتى يخرجه من الدين، وإن وجد في القلب قوة ومقاومة انهزم الشيطان مدبراً خاسئاً وهو حقير.

وهذه الوساوس التي يلقيها الشيطان في القلب لا تضره إذا استعمل المرء العلاج الوارد عن رسول الله ﷺ فيها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جاءه رجل فقال: أحدث نفسي بالشئ ؛ لأن أكون حممة - أي فحمة - أحب إليّ من أن أتكلم به. فقال النبي ﷺ : «الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده - أي الشيطان - إلى الوسوسة». رواه أبو داود وصححه الألباني.

وجاء ناس من الصحابة فقالوا: يا رسول الله: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به – أي يراه عظيماً – فقال النبي ﷺ : «أوجدتموه»؟. قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان». رواه مسلم.

ومعنى كونه صريح الإيمان ؛ أن هذه الوسوسة الطارئة وإنكاركم إياها وتعاظمكم لها لا تضر إيمانكم شيئاً بل هي دليل على أن إيمانكم صريح لا يشوبه نقص.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول: من خلق ربك ؟ فإذا بلغه - أي وصل إلى هذا الحد - فليستعذ بالله ولينته». رواه البخاري ومسلم، وفي حديث آخر: «فليقل: آمنت بالله ورسوله».

وفي حديث رواه أبو داود قال: «قولوا: الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد. ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم». رواه أبو داود وحسنه الألباني.وانظر الصحيحة ح١١٦.

ففي هذه الأحاديث وصف الصحابة رضي الله عنهم المرض للنبي ﷺ فوصف لهم العلاج في أربعة أشياء:

الأول: الانتهاء عن هذه الوساوس، يعني الإعراض عنها بالكلية وتناسيها حتى كأنها لم تكن، والاشتغال عنها بالأفكار السليمة.

الثاني: الاستعاذة منها ومن الشيطان الرجيم.

الثالث: أن يقول: آمنت بالله ورسوله.

الرابع: أن يقول: الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ويتفل عن يساره ثلاثاً ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- الجدال في القدر:

من جملة الأمور التي ترد على الشباب ويقف منها حيران مسألة القدر ؛ لأن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها، وذلك بأن يؤمن بأن الله سبحانه عالم بما يكون في السموات والأرض ومقدر له كما قال سبحانه: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (الحج:٧٠).

وقد نهى النبي ﷺ عن التنازع والجدال في القدر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه فقال: أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرْسِلْت إليكم ؟ ! إنما هلك من كان قلبكم حين تنازعوا في هذا الأمر. عزمت عليكم ان لا تتنازعوا فيه. رواه الترمذي وحسنه الألباني.

والخوض في القدر والتنازع فيه يوقع المرء في متاهات لايستطيع الخروج منها، وطريق السلامة أن تحرص على الخير وتسعى فيه كما أمرت ؛ لأن الله سبحانه أعطاك عقلاً وفهماً وأرسل إليك الرسل وأنزل معهم الكتب «لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً» (النساء: ١٦٥).

ولما حدث النبي ﷺ أصحابه بأنه:«ما من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» ؛ قالوا: يا رسول الله ؛ أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟.

قال:«اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة». ثم قرأ رسول الله ﷺ : «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى × وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى× فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى× وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى×وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى×فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» (الليل: ١٠).

فأمرهم النبي بالعمل ولم يجوز لهم الاتكال على المكتوب ؛ لأن المكتوب من أهل الجنة لا يكون منهم إلا إذا عمل بعملهم. والعمل باستطاعة المرء، لأنه يعرف من نفسه أن الله أعطاه اختياراً للعمل وقدرة عليه بهما يفعل إن شاء أو يترك.

فها هو الإنسان يهم بالسفر مثلاً فيسافر، ويهم بالإقامة فيقيم، وها هو يرى الحريق فيفر منه، ويرى الشئ المحبوب إليه فيتقدم نحوه. فالطاعات والمعاصي كذلك يفعلها المرء باختياره ويدعها باختياره.

والذي يَرِد على مسألة القدر عند بعض الناس إشكالان: أحدهما: أن الإنسان يرى أنه يفعل الشئ باختياره ويتركه باختياره بدون أن يحس بإجباره على الفعل أو الترك، فكيف يتفق ذلك مع الإيمان بأن كل شئ بقضاء الله وقدره ؟ وهذا الذي يقوله القدرية ؛ أن الإنسان خالق أفعاله وليس لله فيها تَدَخُّل.

والجواب على ذلك: أننا إذا تأملنا فعل العبد وحركته وجدناه ناتجاً عن أمرين إرادة أي اختيار للشيء وقدرة، ولولا هذان الأمران لم يوجد فعل. والإرادة والقدرة كلتاهما من خلق الله سبحانه ؛ لأن الإرادة من القوة العقلية والقدرة من القوة الجسمية ولو شاء الله لسلب الإنسان العقل فأصبح لا إرادة له أو سلبه القدرة، فأصبح العمل مستحيلاً عليه.

فإذا عزم الإنسان على العمل ونفذه علمنا يقيناً أن الله قد أراده وقدره، وإلا لصرف همته عنه أو أوجد مانعاً يحول بينه وبين القدرة على تنفيذه. وقد قيل لأعرابي: بم عرفت الله؟ فقال بنقض العزائم وصرف الهمم.

الإشكال الثاني: الذي يأتي في مسألة القدر عن بعض الناس، أن الإنسان يعذب على فعل المعاصي، فكيف يعذب عليها وهي مكتوبة عليه ؟ ! ولا يمكن أن يتخلص من الأمر المكتوب عليه.وهذا يقوله الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبور على أفعاله حتى فعل المعاصي، لأنه لا يعمل شيئًا إلا بإرادة الله.

والجواب على ذلك أن نقول: إذا قلت هذا فقل أيضاً: إن الإنسان يثاب على فعل الطاعات، فكيف يثاب عليها وهي مكتوبة عليه ؟ ! ولا يمكن أن يتخلص من الأمر المكتوب عليه، وليس من العدل أن تجعل القدر حجة في جانب المعاصي ولا تجعله حجة في جانب الطاعات.

وجواب ثان: إن الله أبطل هذه الحجة في القرآن وجعلها من القول بلا علم فقال تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ» (الأنعام:١٤٨).

فبين الله أن هؤلاء المحتجين بالقدر على شركهم كان لهم سلف كذبوا كتكذيبهم واستمروا عليه حتى ذاقوا بأس الله، ولو كانت حجتهم صحيحة ما أذاقهم الله بأسه، ثم أمر الله نبيه ان يتحداهم بإقامة البرهان على صحة حجتهم، وبين انه لا حجة لهم في ذلك.

وجواب ثالث: أن نقول: إن القدر سر مكتوم لا يعلمه إلا الله حتى يقع، فمن أين للعاصي العلم بأن الله كتب عليه المعصية حتى يقدم عليها ؟ أفليس من الممكن أن يكون قد كتبت له الطاعة، فلماذا لا يجعل بدل إقدامه على المعصية أن يقدم على الطاعة ويقول: إن الله قد كتب لي أن أطيع.

وجواب رابع: إن الله قد فضل الإنسان بما أعطاه من عقل وفهم وأنزل عليه الكتب وأرسل إليه الرسل وبين له النافع من الضار وأعطاه إرادة وقدرة يستطيع بهما أن يسلك إحدى الطريقين. فلماذا يختار هذا العاصي الطريق الضارة على الطريق النافعة ؟

أليس هذا العاصي لو أراد سفراً إلى بلد وكان له طريقان أحدهما سهل وآمن، والآخر صعب ومخوف، فإنه بالتأكيد سوف يسلك الطريق السهل الآمن، ولن يسلك الصعب المخوف بحجة أن الله كتب عليه ذلك، بل لو سلكه واحتج بأن الله كتب عليه لعد الناس ذلك سفهاً وجنوناً، فهكذا أيضاً طريق الخير وطريق الشر سواء بسواء، فليسلك الإنسان طريق الخير ولا يخدعن نفسه بسلوك طريق الشر بحجة أن الله كتبه عليه. ونحن نرى كل إنسان قادر على كسب المعيشة نراه يضرب كل طريق لتحصيلها ولا يجلس في بيته ويدع الكسب احتجاجاً بالقدر.

إذن فما الفرق بين السعي للدنيا والسعي في طاعة الله ؟ لماذا تجعل القدر حجة لك على ترك الطاعة ؛ ولا تجعله حجة لك على ترك العمل للدنيا.

إن الأمر من الوضوح بمكان ولكن الهوى يعمي ويصم.

نسأل الله الهداية والتوفيق للجميع.



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما زادها شهرة التحدث بها عند تشييع الجنائز، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة: «قصة نداء القبر يوميًا على ابن آدم».

أولاً: متن القصة

رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس إلى قبر منها، فقال: ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طَلِقٍ ذَلِقٍ: يا ابن آدم كيف نسيتني، ألم تعلم أني بيت الوَحْدَة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلا من وسَّعني الله عليه». ثم قال النبي ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار». اهـ.

ثانيًا: التخريج

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/ ٢٧٨) (ح٨٦٠٨) قال: حدثنا مسعود بن محمد الرملي قال: حدثنا محمد بن أيوب بن سُوَيْد قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال.. وذكر القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذه القصة واهية، والخبر الذي جاءت به موضوع ومن الغرائب النسبية حيث قال الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٢٧٩): «لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا أيوب بن سويد تفرد به ابنه». اهـ.

قُلْتُ: نستنتج من قول الإمام الطبراني أن في الخبر غرابتين نسبيتين:

الأولى: الخبر غريب عن الأوزاعي لم يروه عنه إلا أيوب بن سويد.

الثانية: وهذا الخبر أيضًا غريب عن أيوب بن سويد تفرد به عنه ابنه محمد.

وهذه الغرابة المزدوجة هي أساس الوضع في هذه القصة، حيث بيَّن ذلك الإمام ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٢ / ٢٩٩) فقال: «محمد بن أيوب بن سويد الرملي: يروي عن أبيه عن الأوزاعي الأشياء الموضوعة لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه». اهـ.

قلت: والموضوع اصطلاحًا: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

ورتبته: «هو شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها».

لذلك نجد أن هذا الخبر مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: محمد بن أيوب بن سويد الرملي.

١- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣ / ٤٨٧ / ٧٢٦٠) وقال: محمد بن أيوب بن سويد الرملي عن أبيه وغيره ضعفه الدارقطني، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه. قال أبو زرعة: رأيته قد أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة.

٢- أورده الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ت٤٩٢) وقال: محمد بن أيوب بن سويد الرملي ضعيف.

٣- وأورده الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٥ / ٩٩) (٢٨٧ / ٧٠٧٢) قال: «محمد بن أيوب بن سويد الرملي عن أبيه وغيره ضعفه الدارقطني. وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه. قال أبو زرعة: رأيته أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة».

قلت: وبهذا يكون الحافظ ابن حجر قد أقر قول الإمام الذهبي في محمد بن أيوب بن سويد الرملي.

ثم زاد الحافظ ابن حجر عليه بأن نقل قول الإمامين الحاكم وأبي نعيم في محمد بن أيوب بن سويد:

«وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة».

العلة الثانية: أيوب بن سويد أبو مسعود الرملي.

قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١١٣ / ١٣١): أيوب بن سويد أبو مسعود الرملي: حدثنا عبد الله بن محمد المروزي قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن بشير المروزي قال: حدثنا سفيان بن عبد الملك قال: سمعت ابن المبارك يقول: أيوب بن سويد ارْمِ بِهِ.

٢- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ١ / ٤١٧) ت(١٣٣٣): أيوب بن سويد ليس بثقة.

٤- وأقر هذه الأقوال الإمام الذهبي في «الميزان» (١ / ٢٨٧ / ١٠٧٩) وقال: «أيوب بن سويد الرملي أبو مسعود ضعفه أحمد وغيره، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن المبارك: ارم به، وقال البخاري: يتكلمون فيه». اهـ.

العلة الثالثة: تدليس يحيى بن أبي كثير:

١- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٣٥٦): يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليماني يدلس ويرسل. اهـ.

٢- وأورده الحافظ ابن حجر أيضًا في «طبقات المدلسين» المرتبة الثانية رقم (٣٠). وقال يحيى بن أبي كثير اليماني من صغار التابعين حافظ مشهور كثير الإرسال ويقال: لم يصح له سماع من صحابي ووصفه النسائي بالتدليس. اهـ.

٣- وأورده الإمام السيوطي في «أسماء المدلسين» رقم (٦٦) وقال: «يحيى بن أبي كثير مشهور بالتدليس ذكره النسائي». اهـ.

قُلْتُ: وبالرجوع إلى السند نجد أن يحيى بن أبي كثير عنعن ولم يصرح بالسماع، ولقد بين الحافظ ابن حجر في شرح النخبة النوع (٢٤) حكم التدليس فقال: «حكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلاً أن لا يُقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث على الأصح». اهـ.

بهذا التحقيق يتبين أن قصة «نداء القبر يوميًا على ابن آدم» قصة واهية وخبرها تالف مسلسل بالعلل من الوضاعين والمتروكين والمدلسين.

رابعًا: طريق آخر للقصة تالف

هناك طريق آخر تالف جاءت به أكثر جمل هذه القصة الواهية.

رُوي عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «لم يأت على القبر يومٌ إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلاً، أمَا إنْ كنتَ لأَحَبَّ مَن يمشي على ظهري إليَّ، فإذ وليتك اليوم وصرت إليَّ فسترى

صنيعي بك. قال: فيتسع له مَدَّ بصره ويفتح له باب إلى الجنة.

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليَّ، فإذ وليتك اليوم وصرت إليَّ فسترى صنيعي بك. قال: فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه، قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: ويُقَيَّضُ له سبعون تنينًا، لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض، ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه حتى يُفضي به الحساب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

خامسًا: تخريج هذا الطريق للقصة

هذا الطريق أخرجه الإمام الترمذي في «السنن» (٤ / ٥٥١ - شاكر) ح(٢٤٦٠) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن مَدُّويَهْ، حدثنا القاسم بن الحكم العُرني حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصَّافي عن عطية عن أبي سعيد مرفوعًا.

سادسًا: التحقيق

بعد أن أخرج الإمام الترمذي هذا الخبر قال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه». اهـ.

قلت: ١- قول الإمام الترمذي «هذا حديث غريب».

يعني أنه غير صحيح كما هو اصطلاحه حينما يفرد الحديث بهذا الوصف «غريب» بخلاف ما إذا قال: «حديث صحيح غريب» أو حديث «حسن غريب» كما هو معلوم عند أهل العلم.

قلت: وقد يقع في بعض النسخ: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». اهـ.

ولذلك بعد أن نقل الشيخ الألباني رحمه الله هذه العبارة المنسوبة إلى الإمام الترمذي رحمه الله في «الضعيفة» (١٠ / ٧٤٨) قال: «وأنَّى له الحسن وعطية ضعيف مدلس والوصافي ضعيف جدًا، وبه أعله المنذري فقال: وهو واهٍ». اهـ.

قلت: لذلك اعتمدت على الله وحده، ثم طبعة الشيخ أحمد شاكر - محدث النيل رحمه الله - لكتاب السنن للإمام الترمذي، والذي قال في مقدمته:

١- والذي اعتمدته من نُسَخ الكتاب المخطوطة والمطبوعة سبع نسخ...

٢- وقال: ولقد اتبعت في تصحيح كتاب الترمذي هذا أصح قواعد التصحيح وأدقها، واجتهدت في إخراج نصه صحيحًا كاملاً، على ما في الأصول التي وصفت من اضطراب واختلاف، وعلى أنه لم يقع لي منه نسخة يصحُّ أن تسمى «أصلاً» بحق، كأن تكون قريبة من عهد المؤلف، أو تكون ثابتة القراءة والأسانيد، على شيوخ ثقات معروفين، ولكن مجموع الأصول التي في يدي يخرج فيها نص أقرب إلى الصحة من أي واحد منها، ولم أكتب فيه حرفًا واحدًا إلا عن ثبت ويقين وبعد بحث واطمئنان. اهـ.

قلت: لذلك قال الإمام العراقي رحمه الله في «تخريج الإحياء» (١ / ٣٠٤): «أخرجه الترمذي وقال: غريب». ثم قال: فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف. اهـ.

قلت: وبهذا ثبت لي بيقين قول الترمذي عن هذا الخبر: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ومن تحقيق الإمام العراقي ومن العلل الظاهرة التي بها تصبح القصة من هذا الطريق واهية.

العلة الأولى: عبيد الله بن الوليد الوصافي:

١- في «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي» للإمام يحيى بن معين السؤال (٥٥٤) سألته عن عبيد الله بن الوليد الوصَّافي ؟ فقال: ليس بشيء.

٢- قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ١٢٨ / ١١٣): «عبيد الله بن الوليد الوصافي في حديثه مناكير، لا يتابع على كثير من حديثه». وقال: حدثنا أحمد بن محمود، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قلت ليحيى بن معين: عبيد الله بن الوليد الوصافي؟ قال: ليس بشيء.

٣- قال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ت٣٥٣): «عبيد الله بن الوليد الوصافي: متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح له معناه.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٤- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٦٣): «عبيد الله بن الوليد الوصافي من أهل

الكوفة من ولد الوصاف بن عامر العجلي واسم الوصاف مالك روى عنه أهلها، منكر الحديث جدًا، يروي عن الثقات عطاء وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات حتى إذا سمعها المستمع سبق إلى قلبه أنه كالمتعمد لها فاستحق الترك». اهـ.

٥- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣ / ١٧/ ٥٤٠٥) أقوال هؤلاء الأئمة وأقرها وزاد عليها فقال: «عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية العَوْفي وعطاء بن أبي رباح، روى عثمان بن سعيد عن يحيى: ليس بشيء، وقال أحمد: ليس يحكم الحديث يكتب حديثه للمعرفة، وقال أبو زُرعة والدارقطني وغيرهما: ضعيف».

وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد له فاستحق الترك. وقال النسائي والفلاس: متروك.

العلة الثانية: عطية العوفي:

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٧٦): «عطية بن سعد العوفي»: كنيته أبو الحسن من أهل الكوفة، يروي عن أبي سعيد الخدري، سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبي ويحضر قصصه فإذا قال الكلبي: قال رسول الله بكذا، فيحفظه وكناه أبا سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا ؟ فيقول: حدثني أبو سعيد فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري وإنما أراد به الكلبي، فلا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على وجه التعجب. اهـ.

قُلْتُ: وأورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الرابعة رقم (٦) قال: «عطية بن سعد العوفي تابعي معروف، ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح». اهـ.

قلت: والمرتبة الرابعة من المدلسين بينها الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه «طبقات المدلسين» حيث قال: «الرابعة: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل كبقية بن الوليد». اهـ.

وفي هذا الخبر نجد أن عطية العوفي فوق أنه التعجب، نجده أيضًا مشهور بالتدليس القبيح ولم يصرح في هذه الرواية التي جاءت بها هذه القصة بالسماع ولكنه عنعن فلا يقبل حديثه، فالسند عن عطية عن أبي سعيد.

وبهذا تصبح القصة من هذا الطريق أيضًا واهية لما فيها من متروكين ومدلسين.

لذلك قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٣٨): «رواه الترمذي واللفظ له والبيهقي كلاهما من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي وهو واهٍ عن عطية وهو العوفي عن أبي سعيد».

ونقل ذلك الشيخ الألباني رحمه الله كما بينا آنفًا وحكم على القصة بأنها موضوعة في «الضعيفة» (١٠ / ٧٤٧) (ح٤٩٩٠).

وبهذا يتبين أن هذا الطريق بما فيه من متروكين ومدلسين لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

هذا حتى لا يتوهم متوهمٌ أن الحديث الضعيف يقوي بعضه بعضًا، ولا يدري أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، وإلى القارئ الكريم هذه القاعدة التي نقلها الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣):

«قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا ؛ لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وهذه القاعدة يجب أن يعض عليها طالب هذا العلم بالنواجذ.

وبتطبيقها نجد أن القصة واهية ولا يزول ضعفها بل يزداد ضعفًا على ضعف، ولذلك قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله في «علوم الحديث» (ص١٠٧): «ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت:

فمن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب، أو كون الحديث شاذًا، وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة». اهـ.

فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

خروج الإمام من الصلاة لعارض

يسأل سعيد إسماعيل سالم من فكتوريا –أسكندرية

يقول: كنا نصلي صلاة الجماعة في المسجد وحدث دخان كثيف في المسجد على أثر انفجار كبل، ولم يخرج الإمام من الصلاة وكاد الناس أن يختنقوا، فهل هذا الإمام على صواب فيما فعل أم أن الأولى الخروج من الصلاة لإنقاذ الناس؟

الجواب

في وقت الحوادث المفاجئة يحدث أحياناً ارتباك وربما اجتهادات خاطئة، لكن ليس الحال حال مؤاخذات، وفي مثل حالتكم هذه يمكن لمن يشعر بضرر الدخان أن يخرج من الصلاة وليس شرطاً أن يسمح الإمام أو يخرج من الصلاة، وربما أن الإمام لم يشعر بما شعر به الآخرون فاستمر في صلاته، فلا جناح إن شاء الله على من خرج من الصلاة بسبب خوفه من الاختناق، ولا جناح على من بقي وأتم الصلاة ما دام لم يشعر بخطر الدخان.

المصافحة بعد الصلاة

يقول: هل تجوز المصافحة بعد الصلاة؟

الجواب :

مصافحة المسلم لأخيه أصلها مستحب لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر" رواه الطبراني المصافحة تمحو الذنوب وتؤكد الألفة بين المسلمين والمحبة. وأما المصافحة عقب الانتهاء من صلاة الجماعة وما يتبع ذلك من قول حرماً، أو تقبل الله فإنها من المحدثات التي لم تكن معروفة أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والأولى للمسلم الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

□□□ □□□ □□□

الظلم في الميراث

يسأل محمد محمد عبد الحي من بسيون غربية يقول: ما حكم من أعطى أملاكه في حياته لابنه بقصد حرمان البنات من الميراث؟

الجواب :

هذا من الكبائر العظام، فيجب العدل بين الأولاد في العطايا لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" اعدلوا بين أولادكم في النُّحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف" صحيح الجامع والنحل هو العطاء.

والله تعالى توعد من يتعدى الحدود في توزيع الميراث فقال: «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ»

[النساء: ١٤].

□□□ □□□ □□□

يسأل سائل: يقول: ما حكم الاشتراك في نقابة المحامين دون ممارسة المهنة، وما حكم الاشتغال بمهنة المحاماة إذ وجد من القوانين ما هو متعارض مع الشريعة؟

نقابة المحامين ومهنة المحاماة

الجواب:

الاشتراك في نقابة المحامين تعرف شروطه من النقابة، فإذا كانت هذه الشروط وليس بها مخالفة شرعية فعلى المشترك فيها أن يلتزم بشروط النقابة لأنها تصبح كالعقد، والله تعالى يقول:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ» [المائدة:١]

وحينئذ يكون الإخلال بالشروط والتحايل عليها محرماً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون على شروطهم" أي يلتزمون بما اشترطوه على أنفسهم ما لم يكن محرماً.

أما العمل بمهنة المحاماة فيستطيع المرء نصر المظلوم وإحقاق الحق، مع الابتعاد عن المواطن التي يكون التعاون فيها على الإثم والعدوان، أو دفاعاً عن الباطل ونصراً للظالم، والله تعالى يقول: «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» [المائدة: ٢].

ونحذر المحامين الذين يجادلون عن الناس بالباطل ابتغاء المال والشهرة والدنيا بقول الله تعالى: «هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً» [النساء: ١٠٩].

حكم حلق اللحية

يسأل سائل:

يقول: أريد أن أطلق لحيتي، وأبي يمنعني على أنها سنة وليست واجبة فماذا أفعل؟

الجواب:

جمهور العلماء على أن حلق اللحية حرام لا يجوز فعله، ولا يجوز الحلق إلا لعذر كالإكراه والخوف على النفوس من فتنة، فليتق الله والد هذا الشاب ولا يصد ابنه عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الإسلام.

لأن كل ما ورد في شأن اللحية جاء بصيغة الأمر المقتضى للوجوب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعفوا اللحى»، «وفروا اللحى»، «أرخوا اللحى» وكلها تدل على التوفير والكثرة.

بيع التليفزيونات

يسأل حسن أحمد الشموتي

يقول: ما حكم بيع التلفزيونات للناس وفيهم من يحسن استخدامه والذي يستخدم هذه الأجهزة استخداماً سيئاً؟

الجواب:

التلفزيون وما يشبهه لا يتعلق به حل أو حرمة لذاتها، وإنما يتوقف الحكم عليها على نوع الاستخدام، فإن علم أن المشتري سوف يستخدم هذا الجهاز في أمر يحرم فإن البيع له حرام لأن ذلك من الإعانة على المنكر، والله تعالى يقول: «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» [المائدة: ٢]

ولهذا حرم الفقهاء بيع العنب لمن يعصره خمراً أو تأجير محل لمن يدبر فيه تجارة الخمور، وإن علم البائع أن المشتري سيستفيد بالجهاز فيما أحل الله فحكم بيعه الحل.

أما إذا لم يعلم البائع بما سيفعله المشتري من شرائه هذه الأجهزة فالحكم هنا يتعلق بالغالب من أحوال الناس وما يغلب عليه ظن البائع، فإن غلب على ظنه الاستخدام المباح باع له وإن غلب على ظنه في المشتري الاستخدام المحرم منع.

والله الموفق.



الهمة العالية في الخضوع لله





إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من سمات سلف هذه الأمة المبارك أنهم كانوا يتلقون نصوص الشريعة بهمة عالية واستسلام وإذعان للواحد الديان، وهذه السمة الإيمانية ما ترسخت في هذا الجيل المبارك إلا بالإيمان القوي والتربية الجادة، وقد دلت نصوص الشريعة على أهمية هذه السمة في حياة الفرد والأمة، قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥].

لقد ابتلى الله صحابة النبي ﷺ بآية في كتاب الله، وقفوا منها موقف المتلقي والمذعن لأمر ربه والمشفق على نفسه من التقصير، مع شعور قوي بعظم الأمانة الملقاة على عاتقهم في تلقي أحكام الشريعة؛ فظنوا أنهم عاجزون عن العمل بمقتضاها، فراجعوا رسول الله ﷺ فيها إشفاقًا على أنفسهم لا اعتراضًا، ومع ذلك سمعوا وأطاعوا؛ فنسخ الله حكمها وبقي لفظها، وكم من سامع لها بعدهم ممن لا يعير النصوص اهتماماً ولا يظن أنها للامتثال، بل يمر عليها ويقرؤها لا يلقي لها بالاً ولا يحسب لها حساباً، ولا يقف عندها ليعرف معناها، بل يستوي الأمر عنده أنسخت الآية أم لم تنسخ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة و الصيام والجهاد والصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: «لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»، قال: «نعم»، «رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» قال: «نعم»، «رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ». قال: «نعم» «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قال: «نعم». [رواه مسلم ح١٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: فتجوز لهم من حديث النفس وأخذوا بالأعمال.

أهمية هذه السمة الإيمانية

١- أن الغاية من الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة هي العمل بها بتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيها، قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [الحشر: ٧]. قال الخطيب البغدادي: «والعلم يراد للعمل، كما يراد العمل للنجاة، فإذا كان

العلم قاصرًا عن العمل، كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علمٍ عاد كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً». [اقتضاء العلم العمل: ١٥٨].

ولذلك قال الفضيل: إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً.

وقال أبو رزين: في قوله تعالى: «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» [البقرة: ١٢١]، قال: يتبعونه حق اتباعه يعملون به حقَّ عمله.

٢- أن الله عاب على أمم سابقة ما تلقوا به النصوص الشرعية، فقال عنهم: «قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» [البقرة: ٩٣].

وقال تعالى عن اليهود خاصة: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [الجمعة: ٥].

وعن قوله تعالى: «نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» [البقرة: ١٠١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة: عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود».

٣- أن الإعراض عن آيات الله بتعطيل أحكامها من أعظم صور الظلم، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا» [الكهف: ٥٧].

٤- أن الإنسان محاسب ومسئول يوم القيامة عن عمله كما ثبت من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله £ : «لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عمره فيما أفناه، وعن عمله ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه». رواه الترمذي وصححه المنذري.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف على نفسي أن يقال لي: يا عويمر هل علمت ؟ فأقول: نعم، فيقال: فماذا عملت فيما علمت؟».

٥- أن الأقوال الصالحة مرهونة بالأعمال الصالحة، فقد قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. من قال حسنًا وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسنًا وعمل صالحًا رفعه العمل، وذلك بأن الله يقول: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» [فاطر: ١٠].

نماذج مشرقة ومشرفة

من أسمى الصور التي تتحقق فيها سمة التلقي للتنفيذ، تلك الصور التي يتلقى فيها المؤمن الحث على أعمال مستحبة غير ملزم بفعلها، فيأخذها مأخذ العزيمة، ويلتزم بما فيها من أعمال من لحظة تلقيه للنصوص الشرعية بلا تردد أو تكاسل أو انقطاع أو فتور، وهذه بعض النماذج المشرقة التي تتجلى فيها هذه الصفة:

١- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت النبي £ منذ نزل عليه: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» [النصر: ١] يصلي صلاة إلا قال فيها: «سبحانك ربي وبحمدك ؛ اللهم اغفر لي» (مسلم: ٤٨٤).

٢- عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه رضي الله عنه: أن رسول الله £ ، قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً. (البخاري ٣/٥، ٦، ومسلم ح٢٤٧٩).

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله £ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً. فقال رسول الله £ : من القائل كلمة كذا وكذا؟». قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. قال: «عجبت لها ! فتحت لها أبواب السماء». قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله £ يقول ذلك. (رواه مسلم ح٦٠١، وأحمد ٣٩٩).

٤- وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، قال: سمعت أبي رضي الله عنه، وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله £ : «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف». فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى، أأنت سمعت رسول الله £ يقول ذلك ؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مَشَى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل. (مسلم ١٩٠٢، والترمذي ١٦٥٩).

٥- أخرج البخاري (٢٥١٧) من طريق سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال: قال لي أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي £ : «أيما رجل أعتق امرءً مسلمًا استنقذ الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار»، قال سعيد بن مرجانة: فانطلقت به إلى علي بن الحسين، فعمد علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبد له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف - أو ألف دينار - فأعتقه.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله £ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا فوقهم هاتف يهتف: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم بقضاءٍ قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبرًا؟ قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه

الله يوم العطش. رواه البزار، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٤١٢).

وعن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه، قال: إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يومٍ حار كان حقًا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة. قال: وكان أبو موسى: يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًا فيصومه. رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه؛ يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة». قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما مرت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي. (رواه أحمد: ٤٢٣٩، ومسلم: ٣٠٧٥).

٨- عن علي رضي الله عنه قال: اشتكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده ؛ فأخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليه، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ : «على مكانكما». فقعد بيننا، ثم قال: «ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم». قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ . قيل له: ولا ليلة صفين ؟ قال: ولا ليلة صفين. (مسلم ٢٧٢٧، وأحمد ٧٩٧، وأبو داود ٤٤٠٣).

٩- قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد - يعني سليمان بن حيان - عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يَتَسَارُّ إليه (يسر به) قال: سمعت أم حبيبة رضي الله عنهما تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيت في الجنة». قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ . وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. قال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس. [مسلم: ٧٢٨، والنسائي: ١٧٧٣، وأبو داود: ١٠٥٩، وابن ماجه: ١١٣١، وأحمد: ٢٥٥٤٣].

١٠- عن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: من ركع أربع ركعات قبل الظهر وأربعًا بعدها حرم الله عز وجل لحمه عن النار. قالت: فما تركتهن منذ سمعتهن. (النسائي ١٧٨٩، وأحمد ٢٥٥٣٩).

١١- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». (رواه البخاري ومسلم).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة». أخرجه أبو بكر بن أبي داود في «شريعة القارئ» بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

١٢- قال البخاري: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة حرام، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا. (الطبقات للسبكي ٢/٩).

١٣- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». [رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٤)].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسيانًا أو نحوه» (الوابل الصيب ص٢٢٩).

١٤- قال الإمام أحمد - رحمه الله -: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طَيْبَةَ دينارًا فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت. (سير أعلام النبلاء ١١/٢١٣).

١٥- وها هو أبو هريرة يوصيه النبي ﷺ بوصية في فعل المستحبات، فيفعلها أبو هريرة كأنها فروض وواجبات فيقول: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لستُ بتاركهن؛ أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى، فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر». [صحيح الترغيب والترهيب].

وإذا نظرنا إلى سلوك السلف رضوان الله عليهم وجدناهم كانوا يأخذون السنن والنوافل مأخذ الفرض والواجب حتى يموت الواحد منهم، فيسألون عن النوافل ليفعلوها ويستزيدوا بها لرفع درجاتهم وإرضاء ربهم جل وعلا.

لكن أناسًا في هذا الزمن يسألون: هل هو فرض أم سُنة؟ يسألون عن السنة ليتركوها فهذا يريد أن تكون اللحية سنة ليحلقها وأخرى تريد أن يكون الحجاب سنة لكي لا تحتجب، وآخر يريد الخبائث مكروهة ليفعلها، فشتان شتان بين سلوك السلف، وسلوك الخلف، وقد أشار ربنا سبحانه بأنهم قدوتنا فقال: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا».

نسأل الله الهداية من فضله، والحمد لله رب العالمين.

وقفات مع التوسل والوسيلة

الحلقة الثالثة

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد ذكرنا أن التوسل ينقسم إلى قسمين أساسيين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع، وعلمنا أن التوسل المشروع أقسام ثلاثة.

أما التوسل الممنوع: فقد ذكرنا منه النوع الأول: وهو التوسل إلى الله بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، ورددنا على بعض الشبهات لإزالة الالتباس، ثم نكمل ما بدأناه فنقول وبالله التوفيق:

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بفعل العبادات عند القبور والأضرحة مثل دعاء الله عندها، لأن تحري العبادة عند القبور وسيلة إلى الشرك بالله، لإفضائه إلى دعاء الأموات من دون الله، ولهذا أنكر علي بن الحسين على الرجل الذي كان يأتي إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ ويتحرى الدعاء عندها، وساق له حديث النبي ﷺ وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه أبو يعلى وفيه حفص بن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا وبقية رجاله ثقات.



وقد تدرج الشيطان الرجيم بمن يتعمد الدعاء عند القبور إلى دعاء أصحاب القبور إذ أنهم وجدوا في أنفسهم أن الدعاء عند بعض القبور أحرى بالإجابة (هكذا زعموا) من بقية القبور فصاروا يتعمدون الدعاء عند قبور مخصوصة، بعد أن كانوا يدعون عند القبور مطلقًا دون أن يخصوا قبرًا بالدعاء، ثم تدرجت الحال فقال العامة بعد اندراس العلم وضعف البصيرة وكثرة الجهل والتقليد الأعمى: إنما تعمد من قبلنا الدعاء عند هذا القبر لمزية صاحبه فصار الشرك والعياذ بالله، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى» عند البخاري قال: كان اللات رجل يلت السويق للحجاج فعكفوا على قبره».

وفي تفسير البغوي قال مجاهد: كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسًا فيطعم منه الحاج.

ولما قال بعض الصحابة حديثي العهد بالإسلام للنبي £ : «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» أي: شجرة يتبركون بها ويعلقون بها أسلحتهم كما يفعله المشركون، قال £ : «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة». أخرجه ابن حبان والترمذي وأحمد بن حنبل والطيالسي.

والله تعالى يقول: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» [فاطر: ١٤].

والذي يتعبد عند القبر يعتقد أن العبادة عند القبر أفضل من غيرها في مكان آخر، بل تراه يقف في خشوع ويقول لصاحب القبر: أنا جئت إليك أرفع شكواي وأنت تعرفها فلا تحتاج مني أن أفصح بها إليك، ثم يتمرغ على الأعتاب متمسحًا بالأبواب متلطخًا بالتراب مستغيثًا وصارخًا بغير الخالق الوهاب، فزعم العبادة لله وهو معتقد في غيره، وهذا لون من الشرك القبيح الذي لا يليق، فالذي أفضى إلى ذلك هو العبادة عند القبر.

ولذا نهى النبي £ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعند وجودها في كبد السماء، وقال: «إنه حينئذ يسجد لها الكفار». رواه مسلم، ولأن الكفار يسجدون للشمس حينئذ، فنهى عن ذلك ؛ لما فيه من مشابهة المشركين، وإن لم يقصد المصلي السجود إلا لله الواحد المعبود ؛ لأن النهي يشمل عبادة غير الله تعالى وأيضًا التشبه بمن كانوا يعبدون القبور.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

فنهى عن اتخاذ القبور مساجد، ومعلوم أن من صلى عند قبر فقد اتخذه مسجدًا، ومن بنى عليه ليصلي فيما بُنِيَ عليه فقد اتخذه مسجدًا، ومن وضع القناديل والستور والسرج فقد اتخذه مسجدًا، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

وقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن حبان وابن حنبل عن عائشة رضي الله عنها أنه £ قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيهم مساجد».

فالواجب أن تبعد القبور عن المساجد، وألا يجعل في المساجد قبور، امتثالاً لأمر الرسول £ ، وحذرًا من اللعنة التي صدرت من ربنا عز وجل على من بنى المساجد على القبور، لأنه إذا صلى المصلي في مسجد فيه قبور فقد يزين له الشيطان دعوة الميت أو الاستغاثة به أو الصلاة له أو السجود له فيقع في الشرك الأكبر، وعلى الأقل هو متشبه بمن كانوا يعبدون القبور، «ومن تشبه بقوم فهو منهم». أخرجه أبو داود.

فإذا اقترن مع ذلك دعاء الأموات، وسؤالهم المغفرة، وطلب الشفاء، والذبح لهم، والاستعانة بهم، فكل هذا مما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة أنه شرك أكبر، قال الله تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [فاطر/ ١٣-١٤].

وأفعال الناس عند القبور لا تتعدى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما هو مشروع:

وهو زيارة القبور لتذكر الآخرة وللسلام على أهلها والدعاء لهم، فقد أخرج أحمد وابن ماجه والبيهقي عن بريدة قال: قال رسول الله £ : «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة».

وقد كان هذا في أول الإسلام عند قربهم من عبادة الأوثان، واتخاذ القبور مساجد، فلما رسخ الإسلام في قلوب الناس، وأُمنت عبادة القبور والصلاة إليها، نسخ النهي عن زيارتها، لأنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا.

النوع الثاني: مُبتدع ينافي كمال التوحيد:

وهو من الوسائل التي تؤدي إلى الشرك وهو قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور أو قصد التبرك بها أو البناء عندها وتجصيصها وإسراجها واتخاذها مساجد وشد الرحال إليها ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، فقد أخرج مسلم والنسائي وابن حبان عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله £ يقول: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها».

وأخرج مسلم والنسائي وابن حبان والترمذي وابن ماجه عن جابر قال: نهى رسول الله £ عن تجصيص القبور والكتابة فيها والبناء عليها والجلوس عليها.

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان وابن ماجه وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله £ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وأخرج مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

النوع الثالث: شرك ينافي التوحيد:

وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر كندائه ودعائه من دون الله والاستعانة به والطواف حول القبر والذبح والنذر له، ونحو ذلك. يقول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ × أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنْظِرُونِ» [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

ويقول جل شأنه: «يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» [الحج: ٦٣].

وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

وأخرج الطبراني - ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث - عن عبادة بن الصامت قال: قال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله عز وجل».

فمن المخالفات التي ترتكب عند الميت دعاؤه أو الاستغاثة به ومناداته وسؤاله وطلب المدد منه كأن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو اشفني، أو مدد يا فلان، فهذا كله من الشرك القبيح الذي لا يليق بالعبد أن يفعله، فينبغي أن يتوب العبد من ذلك ولا يعود إليه أبدًا.

ومن المخالفات التي ترتكب عند القبر النذر للميت: بأن يقول: يا سيدي فلان إن شفيتني أو شفيت مريضي أو قضيت حاجتي، أو منحتني كذا أو وفقت ولدي أو ابنتي أو أعليت مركزي ووظيفتي فلك عليَّ أن أفعل كذا وكذا، وهذا كله من الشرك القبيح الذي لا يليق بالعبد أن يفعله أو أن ينذره، فالنذر عبادة لا تكون إلا لله تعالى.

وقد أخرج البخاري والترمذي وأبو داود وابن ماجه والنسائي عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كيف يزين الشيطان للناس أن يتركوا الحي الذي لا يموت ويحتمون بالأموات، أو يظنون أنهم ينفعونهم أو يضرون؟! إنه التقليد الأعمى للآباء والأجداد، كما قال أسلافهم: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٧٠]، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ» [المائدة: ١٠٤]، «وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» [الزخرف: ٢٣].

ومع أن إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه يقول لهم: «قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ × أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ × قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» [الشعراء: ٧٢- ٧٤].

فالذي أهلكهم وأوقعهم في الشرك والضلال هو التقليد الأعمى للآباء بغير هدى من الله تعالى، فالأنبياء لهم مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، وكذلك الصالحون، يقول الله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ» [الأنعام: ٩٠].

فمن أراد أن ينال الفضل فليقتد بهم وليتأس بهديهم، وقال تعالى: «أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ × الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ × لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [يونس: ٦٢ - ٦٤].

فالفضل لهم هم لأنهم آمنوا واتقوا فاستحقوا البشرى في الدارين، أما من يتعدى ويتوسل بهم ويسأل الله تعالى بجاههم فقد وقع بذلك في الشرك القبيح والضلال المبين «وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ» [يونس: ١٠٦].

فليرجع هؤلاء إلى الله تعالى، وليبتعدوا عن التوسل الممنوع الذي يوقعهم في الشرك القبيح، وليتوسلوا إلى الله تعالى بما شرعه وأذن به كالتوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو بصفة من صفاته العليا، أو التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد نفسه، أو التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي يرجى إجابة دعائه، وذلك بأن يكون حيًا ويسمع ويقدر على ذلك، والرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، والحق لا يخفى على طالبه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الحكمة من تحريم الإسلام للحم الخنزير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنظرًا لانتشار أزمة «أنفلونزا الخنازير» في العالم أجمع، وإيمانًا منا بضرورة تعريف القارئ الكريم بما يتعلق بهذا الوباء من خلال صفحات «مجلة التوحيد» فإننا ننشر هذا البحث للدكتور فردريك بينيسا، وقد سبق أن تناولنا في كلمة التحرير هذا الموضوع والحكمة من تحريم الإسلام للحم الخنزير ودللنا على خبث لحم الخنزير ونجاسته، وقد تطابقت نتائج أبحاث العلماء مع ما في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإن ذلك يؤكد بكل وضوح وجلاء أن شريعة الإسلام وحي رباني كريم، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، ولقد أثبتت الأبحاث العلمية والدراسات الطبية أن الخنزير من بين سائر الحيوانات يُعَدُّ أكبر مستودع لما يضر جسم الإنسان، وأنه ينشأ عن أكل لحمه أمراض وأدواء لا تحصى كثرةً وتنوعًا، وأن الشارع الحكيم لم يحرم لحم الخنزير إلا لحكم جليلة وأسرار عظيمة تعود كلها إلى الحفاظ على النفس البشرية المكرمة، والتي جعل الإسلام الحفاظ عليها أحد الضرورات الخمس التي جاء بحفظها.

إعداد/ التحرير

وجاء البحث على النحو التالي:

أثناء الحملة على إفريقيا في الحرب العالمية الثانية، أصيب أعداد كبيرة من الجنود الألمان بالمرض المسمى بالقرحة الاستوائية التي كانت تصيب الساقين، بين الركبة وعظم الكعب، وقد أعجز هذا المرض الجنود عن القتال، لذلك وجب إدخالهم المشافي العسكرية، واستعملت معهم جميع أصناف المعالجة والأدوية بدون نجاح.

فظنوا بأن ذلك قد يكون بسبب طعام الجيش ؛ لأن أصحاب البلاد الأصليين الذين كانوا يستهلكون أطعمتهم الخاصة لم يصابوا بهذا المرض، علمًا بأن العرب واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، جُرِّبَ ذلك على الجنود فكان النجاح باهرًا.

الدكتور ركويج Reckeweg يعترف بأنه من قبل الحرب كانت لديه معلومات عن هذا الأثر الضار، لكنه كان يعتقد أنه كان مقصورًا على استعمال لحم الخنزير الطازج فقط. أثناء خدمته الطبية لاحظ إصابات عديدة بالزائدة والتهاب المرارة والتهابات في المعدة والأمعاء والأكزيما الحادة والالتهابات الجلدية الموضعية إلخ، التي كانت تظهر عند الفلاحين بعد أيام قليلة من ذبح الخنزير.

ظهور هذه الأمراض بشدة لا يظهر بعد أكل لحم الخنزير المجفف والمملح أو لحومه المحفوظة، آنذاك كان يعتقد أن هذه المشتقات المصنعة من لحم الخنزير لم تكن كثيرة الضرر على الصحة، وهذا خطأ أوضحه بعد

ملاحظاته خلال فترة ما بعد الحرب، عندما قلّت الأطعمة والناس أصابها الجوع، ومع ذلك جموع كبيرة من الناس الذين لم يصابوا بجروح وتلقوا كميات غذائية منتظمة مع أنها قليلة بدوا سالمين.

لحم الخنزير لم يكن موجودًا تقريبًا، واللحوم الأخرى كان يحصل عليها بنسبة قليلة، وهكذا كانت كمية الدهون والسكر التي توزع قليلة، والسكان كانوا يتغذون بالحبوب والبقوليات والخضار، لذلك فإن أمراضًا مثل: الزائدة وتصلب الشرايين وأمراض المرارة والروماتيزم والجلطة وارتفاع الضغط خلال هذه الفترة كانت معدومة عمليًا.

ولكن عندما استعادت الدولة اقتصادها عام ١٩٤٨م، ولحم الخنزير عاد إلى الظهور بشكل واسع، وأصبح تحت تصرف الشعب الألماني عادت إلى الظهور الأمراض والعلل التي كانت اختفت حتى ذلك التاريخ بشكل عملي، وبشكل ملموس ومؤسف كان هناك ازدياد شديد للأمراض السرطانية. مرضى كثيرون بأعمار تتراوح بين ٦٠ و٧٠ سنة والذين عاشوا حتى ذلك الحين دون الإصابة بأي مرض، أصيبوا فجأة باضطرابات هضمية لم يكن سببها إلا سرطان المريء أو المعدة أو الأمعاء.

على مر السنين تبين أن هناك اضطرابات أخرى مثل: تلف في المفاصل والتهاب المفاصل ومرض السيلان عند النساء، وكذلك تعذر شفاء القروح المزمنة (بعد جرح في الحرب أو عملية جراحية) كان أكل لحم الخنزير يؤثر تأثيرًا كبيرًا.

من أجل الوصول إلى نتيجة عن أضرار لحم الخنزير، الدكتور ركويج لم يعتمد فقط على الملاحظة الطبية، ولكن كذلك استعمل التجارب المخبرية على الحيوان ؛ الفئران التي كانت تتغذى بلحم الخنزير أعطت نتيجة وبشكل كبير لقابلية إصابتها بظاهرة أكل بعضها البعض Canabalism وأمراض جلدية، وكذلك إصابتها بالسرطان في أعضاء مختلفة من الجسم، وهذا بعد عدة أشهر فقط من تغذيتها بلحم الخنزير (سنة كحد أقصى)، الفئران الأخرى التي غذيت بأغذيتها المعتادة ولو أن بعضها أصيب بمرض ما، إلا أنها لم يصب واحد منها بالسرطان أو ظهرت عليها قابلية أكل بني جنسها.

ومن مصادر أخرى علم الدكتور ركويج أن الكلاب من فصيلة بوكسر Boxer يجب ألا تتغذى أبدًا بأغذية تحتوي على لحم الخنزير ؛ لأنه تظهر فيها بسرعة أمراض جلدية وأمراض خبيثة، نفس الشيء يحدث لحيوانات السيرك مثل الأسود والنمور، حيث تصاب بسمنة ضارة تجعلها خاملة، مع قابلية شديدة للنزيف الأنفي (من الممكن أن يكون بسبب ارتفاع الضغط)، وبعضها تموت بعد ذلك، ولكن الأكثر غرابة أنه ليست الثدييات وحدها هي الحساسة من لحم الخنزير، ولكن الأسماك كأحد أنواع السمك النهري Trucha تموت بعد أيام قليلة من تغذيتها بلحم الخنزير (لأن هذه الأسماك شرهة جدًا).

الدكتور ركويج معروف في ألمانيا ضمن نشاطات أخرى لكونه مكتشف نظرية التسمم البشري ((Homotoxi Cologica عن سبب وتطور الأمراض يعتبر أن مواد سامة بشرية موجودة في لحم الخنزير، وهضمها يؤدي إلى تفاعلات دفاعية من قبل الجسم، وهذه التفاعلات تظهر بشكل أمراض مختلفة كما رأينا سابقًا.

المواد السامة الموجودة في لحم الخنزير تذكر في عدة أبحاث طبية باسم «سوتوكسين» (.(Sutoxine التغذية الغنية بالدهون تجعل هذه الدهون تغزو الدورة الدموية وتكون مسببة لأمراض مثل تصلب الشرايين وارتفاع الضغط في الأوردة وتحقن الدم في الأنسجة واضطرابات في السقاية الدموية للنسيج الضام بشكل عام وبشكل أهم لبعض الغدد الهامة، كذلك مثل ضيق وتصلب الأوعية الدموية التاجية (التي تسقي القلب).

البروفوسور هاوس (Hauss جامعة مونستر) يشرح بشكل موسع في كتابه « Die

«Unspezifische Mesenchy- mreakion
أن النسيج الضام في الجسم يتأثر بشكل كبير عن طريق التغذية الغنية بالدهون التي يوفرها بشكل كبير لحم الخنزير.

والخواص المميزة للحم الخنزير عن اللحوم الأخرى:

١- محتواها الدهني كبير جدًا:

بما فيها الهبرة من لحم الخنزير تحتوي على كمية كبيرة من الدهن، وهذا بسبب أن الدهن لا يتخزن فقط في الطبقة الشحمية التي توجد تحت الجلد، ولكن على خلاف باقي الثدييات جميع خلايا جسم الخنزير تخزن الدهون، وهذه الظاهرة لا تحدث في باقي الحيوانات ؛ لأنها مزودة بخلايا مختصة لهذه الوظيفة، وهذه الخلايا تتكون أكثر شيء في أنسجة ما تحت الجلد، ونستطيع أن نلاحظ هذا الشيء حينما نضع قطعة من اللحم «هبرة» في مقلاة على النار، فهذه اللحمة تفرز مباشرة كمية كبيرة من الدهن، لذلك نستطيع القول إنها تُقلى بدهنها الخاص.

المستهلك للحم الخنزير (بسبب احتوائه على الدهون الكثيرة، وبما أن الدهون تعطي كمية كبيرة من الحريرات ضعف ما تعطيه هيدرات الكربون والبروتينات) يكون معرضًا للسمنة المفرطة، خاصة إذا استهلكه بكمية كبيرة. الدهون مع مواد أخرى ضارة (موجودة بلحم الخنزير) التي سنتكلم عنها فيما بعد، عندما تهضم تتراكم في جسم الإنسان وهي حقًا صعبة الإطراح.

٢- الدهون الحيوانية دائمًا تكون متحدة مع مركّب الكولسترول (.Col- elsterol)

%ابتداءً من مركب الكولسترول تظهر في الدم جزئيات مرتفعة الوزن الجزيئي ومشبعة بمادة الكولسترول. وهذه إذا وجدت بكميات كبيرة تكون مسببة لمرض تصلب الشرايين وارتفاع الضغط في المستقبل،وفي نفس الوقت تساعد على ظهور اضطرابات في الدورة الدموية للأوعية الطرفية والتاجية (خطر الجلطة الدموية في القلب)، خاصة إذا اتحدت مع مركب النيكوتين (الدخان) لكل هذا فإنه من الخطر الإفراط بأكل الدهون الحيوانية.

٣- لحم الخنزير يحتوي على نسبة (.(Mucopolisacaridos هذه المواد عندما تدخل الجسم وتترسب فيه تسبب:

أ- انتفاخ في النسيج الضام للجسم وتعمل كالإسفنج ممتصة الماء، ومع كمية الدهون الكبيرة التي تدخل الجسم (من جراء أكل لحم الخنزير) تساعد على جعل الجسم ضخمًا ومترهلاً.

يجب الإشارة إلى أنه ليس شيء أخطر في الموضوع من الاضطراب الذي يصيب الشكل الخارجي في الجسم الذي ذكرناه، ولكن هو احتمال ترسب هذه المواد المخاطية (الكثيرة في لحم الخنزير) في بعض أجزاء الجسم المكونة من النسيج الضام مثل: الغضاريف وأوتار العضلات وغضاريف ما بين الفقرات وهي في الإنسان متينة وصلبة نوعًا ما، ولكنها تطرى وتفقد مقاومتها إذا دخلت فيها كمية كبيرة من متعدد السكر المخاطي (وهي تدخل بكثرة عند أكل لحم الخنزير). وبهذا يكون الإنسان مهددًا بالإصابة بالأمراض الروماتيزمية والمفصلية، وكذلك اضطرابات فقرية (مرض الدسك)... إلخ.

ب- انخفاض مقاومة وصلابة الغضاريف. ليس فقط بسبب «الخاصة الإسفنجية» التي ذكرت سابقًا، ولكن لأن لحم الخنزير (بسبب كثرة احتوائه على النسيج الضام المخاطي) يحتوي على كمية كبيرة من الكبريت.

جـ- دخول كمية زائدة من البروتينات إلى الجسم (غالبية متعدد السكر المخاطي هو من المركبات البروتينية)، وهذا يسهل ظهور وتطور عوامل مثل: تصلب الشرايين والسكري واضطرابات في الدورة الدموية (حسب رأي الدكتور ويندت Wendt بجامعة فرانكفورت).

وفي إسبانيا أثبتت الإحصائيات أن أهم مصدر للبروتينات الحيوانية هو لحم الخنزير.

٤- لحم الخنزير غني جدًا بهرمونات النمو:
فالهرمونات تعتبر في بعض الأحيان مسئولة عن قابلية الإصابة بالأمراض الورمية، وقد أصبح ذلك واضحًا في فترة ما بعد الحرب، حيث أصيب مرضى تتراوح أعمارهم بين ٦٠ و٧٠ سنة (مرضى بغير مرض السرطان) بالسرطان فجأة عندما بدءوا يأكلون طعام العشاء المكون من شحم الخنزير بشكل اعتيادي، إضافة إلى بعض الاستعدادات المعينة لديهم. نفس الشيء حدث مع الحيوانات المخبرية حيث أمكن إحداث الورم السرطاني فيها بتغذيتها بلحم الخنزير، إذن وجبت الإشارة إلى العوامل التالية الموجودة في لحم الخنزير التي تساعد على ظهور الأورام الخبيثة:
- مركب الكولسترول: الذي يبدو أنه يتدخل بشكل حاسم في تطور الخلايا السرطانية.
- هرمون النمو: الذي يسهل نمو الورم السرطاني.
- بينزوبيرين (Benzopirenos مادة تسبب السرطان) وتوجد في لحم الخنزير.
إضافة إلى هذه العوامل الثلاثة يجب ذكر عامل آخر وخطر للحم الخنزير وهو عبارة عن مجموعة كاملة من العوامل الدموية غير المعروفة جيدًا، ومهمتها في تسبب الأمراض السرطانية لم يوضح بشكل كامل من حيث هل هي مسبب مباشر أم هي مشيرة فقط (تشير إلى وجود السرطان).
٥- الأثر الضار للحم الخنزير بسبب احتوائه على مادة الهستامين (Histamina) والمركبات الأميدازولية يكون مسئولاً عن إظهار الأعراض الالتهابية والشرى أو الطفح (كما لوحظ في المخبر والمستشفى) مثل: الزائدة والتهابات المرارة والسيلان (في النساء) والتهاب الأوردة والدمل أو الخراج، وكذلك عن الأمراض الجلدية مثل الأكزيما والالتهابات الجلدية وظهور الحبوب الجلدية وكذلك التهابات جلدية ذات أصل عصبي وأمراض جلدية أخرى.
٦- (Gipe):
عامل سام ومهم في لحم الخنزير هو فيروس الكريب الذي يتخزن في رئتي الحيوان ويوجد عمليًا في جميع مشتقات لحم الخنزير المصنعة، ومن يأكلها يجب أن يعرف أنه يأكل هذه الفيروسات أيضًا (حسب رأي البروفسور شوب Shope في معهد الأبحاث للأمراض الفيروسية في لندن). وحسب رأي البروفسور ليتريه (Lette أن هذه الفيروسات تهاجر إلى المكان الذي تنتمي إليه حيويًا، أي إلى النسيج الضام للرئيتين في الإنسان بشكل مفضل، وهناك تبقى في حالة خمول إلى أن تتوفر لها الشروط الملائمة لتطورها كنقص في الفيتامينات أو الإصابة بالزكام أو قلة التعرض لأشعة الشمس كما يحدث في الأشهر الأولى من السنة، ولهذا ففي هذه الفترة تظهر الأوبئة المخيفة بمرض الكريب.
نذكر أن أوبئة الكريب بعد الحرب العالمية الأولى قضت على حياة عدد من الأشخاص أكثر من الحرب نفسها (خاصة في ألمانيا). يقدم إلى الشعب الألماني الجائع بعد الحرب لحم الخنزير كغذاء رئيسي (لغناه في الحريرات). وأعمال مشابهة لوحظت من قبل الدكتور ريكويج بعد سنين طويلة من الخدمة الطبية في عيادته، وكذلك عندما بيعت للشعب الألماني في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) كميات كبيرة من معلبات لحم الخنزير القادمة من كندا أو بعد عمليات ذبح الخنزير في البيوت في الشتاء كان مؤكدًا أنه في يناير - فبراير (كانون الثاني - شباط) يظهر وباء الكريب الخطير.
ومن المعروف من ناحية أخرى أن هذه الأوبئة هي نادرة جدًا في البلاد الإسلامية التي تحرم أكل لحم الخنزير.
● كتب هذا المقال الدكتور فردريك بينيا Frederic vinas ونشرته مجلة انتكرال في (Integral) العدد الثاني عام ١٩٧٨م.



العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي

رحمه الله

ومعالم منهجه الأصولي

الحلقة الثالثة



إمام الحرم المكي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه وسلك سبيله إلى يوم الدين.

أما بعد: فنكمل حديثنا حول العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عنايته بالنصوص وصحة الأحاديث والآثار:

وهذا من المعالم المهمة في منهج الشيخ رحمه الله، بل من المرتكزات والأسس التي بنى عليها رحمه الله منهجه الأصولي، وإذا كان كثير من الأصوليين يبنون منهجهم على مدارس كلامية عقلية أو مذهبية فقهية فالشيخ رحمه الله يرفع لواء تعظيم النصوص والأدلة النقلية والتركيز على الاستدلال بها والاستنباط منها وطرح كل ما يخالفها، ومن النماذج على ذلك تعقبه الآمدي رحمه الله عند مقابلته الدليل العقلي بالشرعي حينما ذكر بعض الأمور المجمع عليها عقلاً وشرعًا. (الإحكام: ١/٢٨٣).

قال الشيخ رحمه الله ما نصه: «... ثم مقابلة العقلي بالشرعي، تشعر بأن رؤية الله وتنزيهه عن الشريك ونحوهما إنما ثبت بالدليل العقلي لا بدليل الشرع، وهذه طريقة كثير من المتكلمين، فإنهم يرون أن أدلة النصوص خطابية لا برهانية لا تكفي لإثبات القضايا العقلية والمسائل الأصولية، وهذا غير صحيح فإن نصوص الشرع كما جاءت بالخبر الصادق في القضايا العقلية وغيرها جاءت بتقرير الحق في ذلك بأوضح حجة وأقوى برهان، لكنها لم تجئ على أسلوب الصناعة المنطقية المتكلفة، بل على أسلوب من نزل القرآن بلغتهم بأفصح عبارة وأعلى بيان وأقرب طريق إلى الفهم وأيسره لأخذ الأحكام...» إلى قوله: «فاللهم أغننا بكتابك وسنة نبيك عن موارد الوهم ومزالق الضلال».

وفي نموذج آخر لما أجاب الآمدي إجابة عقلية محضة على اعتراض ورد في الاحتجاج بالتواتر، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «هذا الجواب لا يصلح ضابطًا ولا مقنع للخصم، بل يفتح باب الفوضى والتطاول على النصوص وردها بدعوى عدم العلم بها».

وفي موضع آخر عند الاحتجاج بخبر الواحد واعتراض الآمدي على من قال بحجيته، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «والنصوص تشهد لمن قال بأن خبر الواحد حجة في إثبات أصول الشريعة وفروعها».

وفي المبحث نفسه رد الآمدي قبول أخبار الآحاد وأجاب عن أدلة المحتجين به بأن المكلفين إنما يقبلون ما يخبرهم به الآحاد من جهة عقولهم، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «هذا غير صحيح، فالحجة إنما قامت بالأدلة النقلية وإلا كانوا مكلفين بذلك قبل ورود الشرع وقبل بلوغه مجرد الأدلة العقلية».

وإذا كان هذا كله في مجال التأصيل فالشيخ رحمه

الله يحرص على النصوص حتى في مجال التمثيل، ومن النماذج على ذلك أن الآمدي رحمه الله لما مثل في باب الأمر المعلق على الشرط، كقوله: «إذا زالت الشمس فصلوا»، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «لو مثل بأمثلة من النصوص، كقوله: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» [المائدة: ٦]، وقوله: «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا» [النور: ٥٩]، لكان أولى.

وإذا كان ما سبق ذكره في هذا المعلم في شقه الأول وهو عناية الشيخ بالنصوص، فإن الشق الثاني وهو اهتمامه بصحة الأحاديث والآثار لا يقل شأوًا عنه.

وذلك يتجلى في تعقب ما استشهد به الأصوليون عامة والآمدي خاصة من الأحاديث والآثار الضعيفة بل والموضوعة أحيانًا، فقد أمسك الشيخ رحمه الله بقلم الناقد البصير والمخرِّج القدير، غيرة على سنة النبي ﷺ واجتهادًا في أن تبنى مسائل الأصول على ما صح فيه الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام، والنماذج في هذا أكثر من أن تحصر، بل إن الشيخ رحمه الله يتوسع أحيانًا في التخريج والحكم على الحديث، فيأخذ الصفحتين وأكثر، استطرادًا في الروايات، ونقدًا للرواة، ونقلاً عن علماء هذا الفن وحكمهم على الحديث سندًا ومتنًا.

وبعد: هذا هو المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يحتذى؛ ليكون علم الأصول مؤسسًا على صحيح المنقول مع صريح المعقول، والله المستعان.

المعلم الثالث: تركه الإغراق في الجدل والمنطق والفرضيات والعقليات:

وهذا من المعالم البارزة جدًا في منهج الشيخ رحمه الله، بل يكاد يكون فيصلاً بين منهجه ومنهج عامة الأصوليين الذين تأثروا بعلم الكلام وأولعوا بالجدل والمنطق، واسترسلوا في المسائل الفرضية والمباحث العقلية.

ولقد كان الشيخ رحمه الله قوي المأخذ شديد الإنكار على صرف لب علم الأصول إلى مباحث كلامية ومسائل عقلية.

ولأضرب بعض النماذج على ذلك:

أولاً: في تعريف الكتاب وبيان حقيقة القرآن لما أطال الآمدي النفس في ذكر تعريفات الأصوليين له علق الشيخ رحمه الله بقوله: «كتاب الله أو القرآن من الكلمات الواضحة التي يفهم المراد منها الأميون وصبيان الكتاتيب، فتعريفه بمثل ما ذكر من التكلف الذي لا يليق بعلماء الشريعة مع ما فيه من غموض احتاجوا معه إلى سؤال وجواب، وإخراج ما يجب إخراجه بما فيه من قيود، فما كان أغناهم عن ذلك، لكنها الصناعة المنطقية المتكلفة تغلغلت في نفوس الكثير من العلماء».

ثانيًا: في إنكاره رحمه الله الافتراضات الخاطئة علق على اعتراض أورده الآمدي هو: «فإن قيل: فلو بعث رسول وظهرت المعجزة القاطعة الدالة على صدقه...» إلخ.

علق رحمه الله بقوله: «هذا من الفروض الممقوتة التي لا ينبغي الاسترسال فيها ولا ترتيب حكم عليها ولا الإجابة عنها، فإن البحث فيها بحث في غير واقع ودخول فيما لا يعني».

كما أنكر رحمه الله الأمثلة الافتراضية مثل ما أورده الآمدي بقوله: فلو قال: «نهيتك عن ذبح شاة الغير بغير إذنه لعينه، ولكن إن فعلت حلت الذبيحة، ونهيتك عن استيلاد جارية الابن لعينه».

علق رحمه الله بقوله: «هذه أمثلة فرضية لم يأت بمثلها الشرع».

ثالثًا: وفي مبحث قوادح القياس أورد الشيخ رحمه الله تعليقًا على ما له صلة وثيقة منها بالأصول، ثم قال رحمه الله: «وما لم يندرج تحت ما ذكرناه فهو نظر جدلي يتبع شريعة الجدل التي وصفها الجدليون باصطلاحهم، فإن لم يتعلق بها فائدة دينية فينبغي أن نشح على الأوقات أن نضيعها بها وبتفصيلها، وإن تعلق بها فائدة فهي ليست من جنس أصول الفقه بل هي من علم الجدل فينبغي أن تفرد بالنظر ولا تمزج بالأصول التي يقصد بها تذليل طرق الاجتهاد للمجتهدين».

رابعًا: وفي الاحتجاج بشرع من قبلنا لما ذكر الآمدي تكافؤ الأدلة، قال: «كيف وإن هذه الآيات متعارضة والعمل بجميعها ممتنع».

وقد علق الشيخ رحمه الله على ذلك بقوله: «هذا مسلك سيء وجدل ممقوت؛ لما فيه من ضرب آيات الله بعضها ببعض، وبمثل ذلك استولت الحيرة والشكوك على كثير ممن أولع بالجدل حتى تركوا النصوص الصحيحة إلى ما يزعمونه أدلة عقلية قاطعة، وقد تكون أوهامًا وخيالاً، واعتمدوا عليها وآثروها على النصوص، فازدادوا حيرة واختلافًا بينهم وتناقضًا في آرائهم، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور».

ولا أجد بعد هذه النماذج الحية تعليقًا على هذا المعلم المهم في منهج الشيخ رحمه الله، وقد تركت كثيرًا منها للاختصار.

التزامه المنهج العلمي الرصين:

لقد تميز منهج الشيخ رحمه الله في التعليق على المسائل الأصولية بالتزام الطريقة المثلى - في نظري - ومع التسليم بأنه رحمه الله لم يدرس المسائل دراسة متكاملة، إلا أنه ركز على لب المسائل وجوهرها وما ينعكس على المتلقى بالفائدة المرجوة بحيث يفهم المسألة فهمًا صحيحًا في أقرب صورة؛ ذلك لأنه رحمه الله سلك مسلك التعليق، ومع ذلك فقد جاء تعليقه ملتزمًا المنهج العلمي الرصين، ويتضح ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: عنايته بتحرير محل النزاع.

المطلب الثاني: تركيزه على التطبيق وكثرة الأمثلة وتخريجه الفروع على الأصول.

المطلب الثالث: اهتمامه بالتقعيد والتأصيل وبيان مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها.

المطلب الرابع: إيراده لثمرة الخلاف.

وسأورد في كل مطلب نماذج مختصرة تدل عليها في العدد القادم بمشيئة الله تعالى.

الحلقة الخامسة عشرة

إعلام المصلين والــولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

٢- إمامة من تكره إمامته:

قد يحدث أن يؤم القوم رجل مكروه من قبلهم، فما حكم الصلاة خلفه؟ هذا ما سنعرفه بمشيئة الله في التفصيل الآتي:

أولاً: الأحاديث الواردة في هذا الشأن

١- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون». [رواه الترمذي وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط وصححه أحمد شاكر].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا: رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان». [رواه ابن ماجه وقال عنه الألباني: منكر بهذا اللفظ، وحسن بلفظ: العبد الآبق مكان: أخوان متصارمان].

٣- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قومًا وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة دبارًا - والدبار الذي يأتيها بعد أن تفوته - ورجل اعتبد محرره». [أخرجه أبو داود وقال عنه الألباني: ضعيف إلا الشطر الأول فصحيح]. واعتباد المحرر أن يعتقه ثم يكتم عتقه وينكره، ويحبسه بعد العتق، ويستخدمه كرهًا.

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ ثلاثة: «رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي على الفلاح ثم لم يجب». [رواه الترمذي وضعفه الألباني].

٥- عن عمرو بن الحارث بن المصطلق قال: كان يقال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة اثنان: امرأة عصت زوجها، وإمام قوم وهم له كارهون». قال هناد: قال جرير: قال منصور: فسألنا عن أمر الإمام، فقيل لنا: إنما عنى بهذا أئمة ظلمة، فأما من أقام السنة فإنما الإثم على من كرهه. [رواه الترمذي وصححه الألباني].

ثانيًا: المقصود بالكراهة

اختلف الفقهاء في المقصود بالكراهة على رأيين:

الأول: التحريم: أي تحريم إمامة من يكرهه القوم بمعنى أن الإمام المكروه يعاقب على إمامته ويثاب على تركه لها. قال الشوكاني في النيل: «وأحاديث الباب يقوي بعضها بعضًا فينتهض للاستدلال بها على تحريم أن يكون الرجل إمامًا لقوم يكرهونه، ويدل على التحريم نفي قبول الصلاة وأنها لا تجاوز آذان المصلين ولعن الفاعل لذلك».

الثاني: الكراهة: أي تكره إمامة من يكرهه القوم، بمعنى أن الإمام المكروه لا يعاقب على إمامته ويثاب على تركه لها. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا تجاوز صلاتهم آذانهم» أي: لا ترفع ولا تقبل، وهذا الحديث ضعيف، ولو صح لكان فيه دليل على بطلان الصلاة، ومن ثَمَّ قال الفقهاء بالكراهة، وقد ذكر ابن مفلح رحمه الله في «النكت على المحرر» بأن الحديث إذا كان ضعيفًا وكان نهيًا فإنه يحمل على الكراهة، لكن بشرط أن لا يكون الضعف شديدًا، وإذا كان أمرًا فإنه يحمل على الاستحباب، فالحديث لضعفه لم يكن موجبًا للحكم الذي يقتضيه لفظه ولوروده كان مثيرًا للشك فكان الاحتياط أن نجعل حكمه بين بين». اهـ.

ثالثًا: المقصود بعدم مجاوزة صلاته أذنه

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: «جمع بين الأذن الجارحة: أي: لا تقبل قبولاً كاملاً، أو ترفع إلى الله رفع العمل الصالح. قال: التوربشتي: بل أدنى شيء من الرفع، وخص الآذان بالذكر لما يقع فيها من التلاوة والدعاء، ولا تصل إلى الله تعالى قبولاً وإجابة، وهذا مثل قوله عليه السلام في المارقة «يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم». عبر عن عدم القبول بعدم مجاوزة الآذان. قال الطيبي: ويحتمل أن يراد: لا يرفع عن آذانهم فيظلهم كما يظل العمل

الصالح صاحبه يوم القيامة، كذا قال في المرقاة.
وقال السيوطي في قوت المغتذي، أي: لا ترفع إلى السماء كما في حديث ابن عباس عند ابن ماجه لا ترفع صلاتهم فوق رؤسهم شبرًا وهو كناية عن عدم القبول كما في حديث ابن عباس عند الطبراني: لا يقبل الله لهم صلاة. اهـ.

فخلاصة القول الذي نقله المباركفوري أن صلاة من أم قومًا وهم له كارهون غير مقبولة ولكنها تقع صحيحة مجزئة أي لا يطالب بإعادتها طالما أتى بشرائطها وأركانها وواجباتها.

رابعًا: أقوال الفقهاء في المسألة

اختلفت كلمة الفقهاء في المسألة على رأيين:
الأول: اتفقت كلمة الأئمة الأربعة بأنه يكره أن يؤم إمامٌ قومًا في الصلاة وهم له كارهون وذلك إن كرهوا لمعنى مذموم شرعًا.

قال النووي في المجموع: وإنما تكره إمامته إذا كرهوه لمعنى مذموم شرعًا ؛ كَوَالٍ ظالم، وكمن تغلب على إمامة الصلاة ولا يستحقها أو لا يتصون من النجاسات أو يمحق هيئات الصلاة أو يتعاطى معيشة مذمومة أو يعاشر أهل الفسوق ونحوهم أو شبه ذلك، فإن لم يكن شيء من ذلك فلا كراهة. هكذا صرح به الخطابي والقاضي حسين والبغوي وغيرهم. اهـ.

وقال المناوي في فيض القدير: «لما يذم شرعًا كفسق وبدعة وتساهل في تحرز عن خبث وإخلال بهيئة من هيئات الصلاة وتعاطي حرفة مذمومة.

وقال ابن قدامة في المغني: «وإن كان ذا دين وسنة فكرهه القوم لذلك لم تكره إمامته». اهـ.

الثاني: يرى أن الاجتماع للجماعة والائتلاف أمر ضروري فإن حصلت الكراهة فتكون تأليف جماعة المسجد أولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاختيارات الفقهية: وإن كان بين الإمام والمأمومين معاداة من جنس معادة أهل الأهواء أو المذاهب، لم ينبغ أن يؤمهم ؛ لأن المقصود بالصلاة جماعة الائتلاف ولهذا قال النبي ﷺ: لا تختلفوا فتختلف قلوبكم. فإن أمهم فقد أتى بواجب ومحرم يقاوم الصلاة فلم تقبل إذ أن الصلاة المقبولة ما يثاب عليها.

وقال الشيخ ابن عثيمين: «لكن ظاهر الحديث الكراهة مطلقًا، وهذا أصح لأن الغرض من صلاة الجماعة هو الائتلاف والاجتماع وإذا كان هذا هو الغرض فمن المعلوم أنه لا ائتلاف ولا اجتماع إلى شخص مكروه عندهم». اهـ.

خامسًا: الاعتبار بكراهة أهل الدين دون غيرهم

قال الشوكاني في نيل الأوطار: «الاعتبار بكراهة أهل الدين دون غيرهم حتى قال الغزالي في الإحياء: لو كان الأقل من أهل الدين يكرهونه فالنظر إليهم».

اهـ. ومن ثم فلا اعتبار للفسقة في هذا الأمر...
وقال النووي في المجموع: فقال الشافعي وأصحابنا رحمهم الله: يكره أن يؤم قومًا وأكثرهم له كارهون ولا يكره إذا كرهه الأقل، وكذا إذا كرهه نصفهم لا يكره، صرح به صاحب الإبانة وأشار إليه البغوي. اهـ.

وقال في الإنصاف في الشرح: «مفهوم قوله وأكثرهم له كارهون أنه لو كرهه النصف لا يكره أن يؤمهم وهو المذهب، وقيل: يكره أيضًا، قال المصنف - ابن قدامة - والشارح: فإن استوى الفريقان فالأولى أن يؤمهم إزالة لذلك الاختلاف.

وقال الشوكاني في النيل: «وقد قيد ذلك جماعة من أهل العلم بالكراهة الدينية لسبب شرعي، فأما الكراهة غير الدينية فلا عبرة بها وقيده أيضًا بأن يكون أكثر المأمومين ولا اعتبار بكراهة الواحد والاثنين والثلاثة إذا كان المؤتمون جمعًا كثيرًا لا إذا كانوا اثنين أو ثلاثة فإن كراهتهم أو كراهة أكثرهم معتبرة». اهـ.

سابعًا: هل الكراهة تشمل المأمومين؟

قال النووي في المجموع: وأما المأموم إذا كره حضور أهل المسجد فلا يكره له الحضور: نص عليه الشافعي، وصرح به صاحب الشامل والتتمة لأنهم لا يرتبطون به. اهـ.

الخلاصة: أنه يكره للمسلم أن يؤم قومًا أكثرهم له كارهون، ولكن لا عبرة مطلقًا لهذه الكثرة إن كانت على غير هدى أو دين، فإن الحال الآن قد تبدل وتغير كثيرًا عن عصر النبوة وعصر الصحابة والتابعين ومن تبعهم، إذ ظهرت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروؤة والتي أوجدت الضغائن بين المسلمين، فتجد كثيرًا من المسلمين الآن يكرهون صاحب السمت الإسلامي فإذا رأوا ذا لحية وقميصًا قصيرًا نفروا منه نفورًا شديدًا وأحسوا بالبغض تجاهه ويكرهون أن يؤمهم في الصلاة ؛ لا لشيء إلا لتمسكه بالسمت الإسلامي ولا يجدون حرجًا في أن يؤمهم شارب الدخان، فهؤلاء لا يمكن أن تكون كراهتهم معتبرة تؤدي إلى كراهية الإمامة، وكذلك الحال في الصوفية والشيعة ينفرون من أهل السنة والجماعة ويكرهون الصلاة خلفهم، فلا اعتبار بكراهتهم هذه، إذ الاعتبار بكراهة أهل الدين المعتبرين المبنية على ما يذم شرعًا، بل إن الحسد للإمام يدفع إلى كراهته من قبل الحاسد، وكذا الشحناء والبغضاء الناتجان عن الأمور الدنيوية يؤديان إلى الكراهة ولا اعتبار لهما في هذا الشأن، وإنما يسعى الإمام لرأب الصدع ولم الشمل وتأليف القلوب حتى تكون الصلاة مقبولة من الجميع، والله الموفق.


الآن
سارع بحجز نسختك من المجلد الجديد
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٢٩
لعام ١٤٢٩ هـ
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
موسوعة علمية


جماعة أنصار السنة المحمدية
إدارة الأيتام والتكافل الاجتماعي
هل تريد أن تكون جزءًا من مشروعنا الخيري
أيتامنا بانتظار يد حانية تمتد إليهم
صدقتك
من يدك
ليد اليتيم
مباشرة
فساهم
معنا ولو
بالقليل
كفالة اليتيم
كفالة اليتيم
الكفارات للأيتام
عيدية اليتيم
إفطار الصائم للأيتام
زكاة المال للأيتام
الصدقة الجارية للأيتام
كفالة اليتيم
الزي المدرسي
كسوة العيدين
الصدقات العامة
للتبرع: المركز العام ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة، أو الاتصال بالهاتف رقم ٢٣٩٥٩٢٠٢
أو عمل إيداع على حساب رقم ٢١٣٧٩٧ بنك فيصل فرع القاهرة، يرجى إرسال صورة
الحوالة على فاكس رقم ٢٣٩٥٩٢٠٢ أو عمل حوالة بريدية فورية باسم مدير إدارة الأيتام
على مكتب بريد عابدين على نفس العنوان